استدراكات
على مسيرة الدعاة

تأليف
أ. يحيى سليمان العقيلي

تقديم
الشيخ د. جاسم مهلهل الياسين

الكويت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم بقلم الشيخ الدكتور جاسم مهلهل الياسين	٩
المقدمة	١٣
الفصل الأول: استدراكات حول مفهوم الانتماء وتطبيقاته	١٧
١ - الانتماء والحسابات الشخصية	٢٦
٢ - الانتماء ودعاة اللاانتماء	٣٢
٣ - الانتماء والإيمان بالفكرة	٣٧
٤ - الانتماء الخجول	٤٣
٥- الانتماء المشروط والمحدود	٤٦
٦ - الانتماء والتصنيف السياسي	٥٠
الفصل الثاني : استدراكات حول التربية والتطور المرحلي للدعوة	٥٥
١ – ما هي حقيقة التربية التي نريدها...؟	٥٥
٢ - روحانية الداعية	٥٧
٣ – ما حاجة الداعية للتربية الإيمانية..؟	٥٩
٤ - كيف تتحقق التربية الإيمانية...؟	٦٣
٥ - التربية الجماعية والتربية الذاتية	٦٧

٦ – الأداء التربوي: إدارة أم بناء.... ؟ ٦٩
٧ – معايير الارتقاء التربوي..... ٧١
٨ – الضعف التربوي: قدر محتوم أم مشكلة لها حل؟ ... ٧٣
٩ – التربية:مرحلة مضت أم متطلب لازم ؟ ٧٧

الفصل الثالث : استدراكات حول الالتزام التنظيمي ٨١

١ – الالتزام التنظيمي والفاعلية الدعوية ٩٠
٢ – الالتزام التنظيمي والممارسات النقابية ١٠٦
٣ – الالتزام التنظيمي واستيعاب الآخرين ١١١
٤ – الالتزام التنظيمي بين الفردية والجماعية ١١٣
٥ – الالتزام التنظيمي وبرامج التنمية الذاتية ١١٥
٦ – الالتزام التنظيمي واللياقة الحركية ١١٧

الفصل الرابع : استدراكات حول الأداء الدعوي ١٢٩

١ – هل نحن دعاة حقاً... ؟! ١٢٩
٢ – هل نحن بحاجة لتجديد الروح الدعوية ؟ وكيف...؟ ١٣٠
٣ – أيهما أولى:الدعوة الفردية أم الجماعية والعامة؟ ١٣٩

الفصل الخامس : استدراكات حول العمل المؤسسي. ١٤٣

١ – العمل التنظيمي والمؤسسي: تعارض أم تكامل ؟ ... ١٤٤
٢ – قيادة العمل المؤسسي لمن ؟ ١٤٧

٣ - العمل المؤسسي والانفتاح الجماهيري:عقدة أم مطلب؟ ١٤٩

الفصل السادس : الانفتاح والعمل العام ١٥٧

١ - الدعاة بين التأثير والتأثر ١٥٧
٢ - التحول من «مشروع الحركة» إلى «مشروع الأمة»... ١٦٤
٣ - استيعاب الآخرين ١٦٩
٤ - الانفتاح والهوية ١٧٤
٥ - الفكرة والحركة:من يحمل الآخر ؟..... ١٧٦
٦ - قيادة الجمهور أم الانقياد له؟ ١٨١
٧ - بين النخبوية والشعبية ١٨٦
٨ - الرموز الدعوية ١٩٢
٩ - فاعلية الأنشطة الدعوية العامة ٢٠١
١٠ - الدعاة والعمل الاجتماعي ٢٠٥

الفصل السابع: استثمار الطاقات ظاهرة أم مشكلة؟ ٢١١

الفصل الثامن: دعاة اليوم والسنن الإلهية ٢٢١

الفصل التاسع:دعاة اليوم والأخوة الإيمانية ٢٢٧

الفصل العاشر: للشباب خاصة..... ٢٤٣

الخاتمة..... ٢٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله بما حمد به نفسه في كتابه، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين، وبعد:

فإذا كان العلم أنفس شيء تصرف فيه الأنفاس، وتبذل له الأموال، فإن الدعوة إلى الله عزَّ وجل لا تقل عن ذلك أهمية وضرورة وفضلاً ومنزلة، بل هما في ميزان الشرع سيَّان، وصنوان متلازمان لا ينفصلان بحال من الأحوال، وما نفع الدعوة إذا لم يصحبها علم يؤصل لها في نفوس المدعوين، ويعبد طريقها إلى قلوبهم وعقولهم، وما قيمة العلم إذا ظل حبيس صدر من الصدور، أو كتاب مسطور، أو بلد معمور، **فالدعوة والعلم بمثابة جناحي طائر إذا اختل أحدهما اختلت قواه، واضرب طيرانه.**

ومن المقرر أن الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أشرف وأعلى المنازل في الدنيا، والدعوة إلى الله غايات وأصول وثوابت، كما هي أهداف ووسائل وأساليب تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر لمعالجة مواطن الضعف، والتجديد فيما شاخ من أساليب لمواجهة التحديات والمستجدات والمخاطر المحدقة بالدعو.

وهذا يستدعي من أهل الفكر مراجعة الواقع العملي والتطبيقات اليومية لحركة الدعوة في المجتمع، وفي هذا الإطار جاء هذا الكتاب

الماتع (استدراكات على مسيرة الدعاة) لأخينا الأستاذ الشيخ يحيى العقيلي بأسلوب شيِّق، وسبك حسن، وعبارة رصينة، وصياغة متينة، وقد عالج خلال الكتاب – حفظه الله – قضايا هي من صميم الدعوة، وأعاد النظر فيها على أساس من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وأصول الدعوة التي سار عليها الكبار من المربين، فردَّ الأمور إلى نصابها، وأعطى كل ذي حقٍّ حقه، وفق ما أدّاه إليه اجتهاده وتحريه للحق والصواب.

وتأتي قوة هذه الاستدراكات من أنها جاءت من رجل خبير عاين وعاصر الدعوة أكثر من ثلاثين سنة، وظل عاملاً مبدعاً في كل ميادين وظروف العمل الحركي الإسلامي، ومن المقرر أنه لا يعرف الدعوة إلا من عاش أجواءها، وعاين مُرّها وحُلوها، وتنقَّل في كل زواياها، ونظنُّ أن الأخ الشيخ يحيى العقيلي من فرسان الدعوة، ولا نزكي على الله أحداً.

وما كتبه حفظه الله في هذه الاستدراكات إنما هو امتداد لأياديه البيضاء على الدعوة والدعاة، وجُهد يُشكر عليه، وهو مساهمة في بناء الحركة الدعوية، وحشد للطاقات والجهود الجبارة العاملة على عدم تداعي بنيان الدعوة؛ لكي لا تتأثر مع عواصف التغيير والعولمة الثقافية والعلمية التي عصفت بالعالم الإسلامي بأكمله.

والحق يقال أننا بحاجة بين الفينة والفينة إلى أمثال هذه الكتابات والاستدراكات والاجتهادات التي تمنح الدعوة مواصفات وخصائص البقاء والاستمرار في ساح المعارك العلمية والثقافية.

وإني لأرجو الله أن تكون لهذه الخطوة خطوات أخرى، ولهذه الحركة أخوات، ولا تتوقف هذه المحاولات الجيدة فنحن والأُمَّة جمعاء بحاجة إليها.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يأخذ بيد أخينا يحيى العقيلي إلى الصواب، ويثيبه خيراً على هذا الجُهد المشكور والعظيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله أولاً وآخراً.

كتبه

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

الكويت ٢٠ من محرم ١٤٣٠هـ

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.....

والصلاة والسلام على خاتم النبيّين وإمام المرسلين وقدوة الدعاة والمصلحين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .... وبعد،،،،،

فالدعوة إلى الله تعالى عمل جليل وفضل عظيم وشرف كبير ....، فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وسبيل الدعاة و المصلحين ،لا ينافسها في فضلها هذا أي عمل كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] ، وقال جلّ وعلا على لسان نبيه ﷺ : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، ففيها الإتباع الحق للنبي ﷺ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم**»[1] وقال ابن القيّم

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

رحمه الله: «الدعاة جمع داع كقاضٍ وقضاة، وراع ورعاة، وإضافتهم إلى الله للاختصاص، أي: الدعاة المتخصصون به الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته، وهؤلاء هم خواصّ خلق الله، وأفضلهم عند الله منزلة، وأعلاهم قدراً»، فالدعاة إلى الله انطلقوا بالإسلام كرسالة ومنهج ونظام للحياة، يكفل للأمّة الأمن والتقدم والسعادة، بعد أن التزموه تديّناً والتزاماً وسلوكاً.... فسخّروا جهودهم، وبذلوا أموالهم، وأبلوا شبابهم، وأفنوا أعمارهم لتبليغ دعوة الله للعالمين، وتمكين الإسلام في واقع مجتمعاتهم....

وتأتي الحركات الإسلامية في طليعة هذا الجهد الدعوي المبارك، وآثارها اليوم في المجالات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية واضحة للعيان.... كما أنها اليوم تتصدى للتحديات التي تواجه الأمة في مقدّراتها ومقدّساتها، وأصبحت - للمنصفين - أمل الأمة المرتقب، لتبرهن بذلك على أن العمل الإسلامي الجماعي المنظم منهج سديد في تحقيق الأمة لرسالتها السامية...

وقد امتّن الله تعالى عليّ بأن أكرمني بصحبة الدعاة، وسلوك دربهم، ومعايشة مجتمعهم، والعمل لأجل رسالة الإسلام معهم، تجمعنا رابطة العقيدة، وتوحدنا آصرة الإخاء الإيماني، وتنّظم جهودنا رسالة الإسلام العظيمة....

كان فضل الدعاة عليّ – بعد الله تعالى – كبيراً في التربيـة والتوجيـه وسلامة الفكر وحسن الخلق ومعايشة قضايا المسلمين .. وبأن تكون لي في الحياة رسالة وغاية ...

وخلال هذه الصحبة الكريمة، والمسيرة العزيزة كان التأمل في مسيرة الحركة الإسلامية، ومسيرة دعاتها أفراداً وجماعات... كان الأمل يتنامى لتحقيق أهدافها وبلوغ رؤيتها.....كما كان الألم يوجع عند تعّثر جهودها وبروز ثغرات في بنائها....

فكان واجب النصح الأمين، وميثاق التواصي بالحق والصبر، يوجب علينا أن يتم الاستدراك على تلك الثغرات.. والتنبيه لتلك المزالق، قال عليه الصلاة والسلام : «**الدين النصيحة ، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامّتهم**». (رواه الترمذي)... وإخواني الدعاة هم أحقّ الناس بالنصح الأمين ، فجاءت هذه الاستدراكات على مسيرة الدعاة تستدرك على بعض الممارسات التي حكّمت فيها ما فهمته من كتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ، وما أفهمه من منهج الحركة الذي تربيت عليه ، ومسارها الذي سارت عليه، ومستقبلها الذي يستشرف لها، وسردتها بفصول تناولت قضايا: الانتماء... والأداء الدعوي... والالتزام التنظيمي... وواقع التربية... والعمل المؤسسي... والانفتاح والعمل العام... والإخاء... ومشكلة استثمار الطاقات.. والدعاة والسنن الإلهية...

داعياً الله - جلت قدرته - أن يشرح لها الصدور.. وأن يفتح لها القلوب..وأن ينفع بها الدعاة.. فالله تعالى هو المقصود من ورائها، وهو المرتجى أن ننال رحمته ورضوانه ... وأن يكتب لنا ولمن نفع وانتفع بها أجر المجتهدين بصوابهم وخطئهم، وإنما الصواب من الله تعالى فهو الهادي ،والخطأ من نفسي فهي المقصرّة الراجية عفوه ومغفرته ،،،،،،

والله الموفق،،،،

يحيى العقيلي

ذو الحجة ١٤٢٩ - ديسمبر ٢٠٠٨

الفصل الأول:

استدراكات حول مفهوم الانتماء وتطبيقاته

الانتماء للحركة الإسلامية يشّكل العصب الذي تستمد منه الحركة - بعد توفيق الله تعالى - وجودها وتأثيرها، وتنطلق الحركة الإسلامية في تأصيل وترسيخ مفهوم الانتماء الحركي لدى أعضائها ومؤيديها من منطلقات شرعية وواقعية، تؤكد لهم بأن الانتماء الحركي ليس عاطفة جيّاشة ناتجة عن رغبة لدى الفرد في سلوك طريق الاستقامة بعد حياة لاهية أو حياة لا معنى لها ولا رسالة، وان كان ذلك يشكل أحد الدوافع المحمودة للانتماء للعمل الإسلامي الجماعي، إلا أن وضوح وصفاء الابتداء أمر لازم لصدق العطاء وثبات الانتماء.....لذا فإن الفرد يتعلم ويدرك في أيامه الأولى أن الانتماء للجماعة الإسلامية ينطلق من التوجيهات الربانية والسنة النبوية التي تؤصل لشرعية الانتماء وترسخه في وجدان الفرد وعقله. ويعني الانتماء أن يَقْبل الفرد الانضواء في إطار العمل الإسلامي الجماعي المنظم، وأن يكون عضواً في الحركة الإسلامية التي آمن برسالتها، ويحقق متطلبات ذلك الانتماء، ويستوفي مقتضياته وشروطه.

فالعمل الجماعي للدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مشروع ومطلوب، بل ويتوجب وجوباً كفائياً كما يتوجب عينياً في ظروف معينة.

* ما ورد في القرآن الكريم عن شرعية العمل الجماعي:

يقول الحق جل وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤] ويستدل بالآية كما ذكر الطبري في تفسيره: «قال: يعني بذلك جل ثناؤه: ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة يقول: جماعة، يدعون الناس، إلى الخير، يعني: إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده، ويأمرون بالمعروف، يقول: يأمرون الناس بإتباع محمد ﷺ ودينه الذي جاء به من عند الله، وينهون عن المنكر، يعني: وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله، بجهادهم بالأيدي والجوارح حتى ينقادوا لكم بالطاعة. وقوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، يعني المنجحون عند الله، الباقون في جناته ونعيمه».

ويقول المولى عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن أعظم أعمال البر والتقوى: الدعوة إلى الله، والعمل على تمكين الدين في واقع الحياة، وترسيخ معالمه وقواعده في مناحيها.

ولقد وردت كلمة «الحزب» في القرءان الكريم كإشارة واضحة لكينونة الجماعة، والحث على التجمع لرفع راية الإسلام ونشر دعوته، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا زادوا في ذلك ونقصوا، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم، سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمّه الله تعالى ورسوله، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف،

وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان»[1]، وقال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، قال الفخر الرازي: «تنصروا دينه وحزبه» وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصّلت: ٣٣]، وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: «هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه».

* ما ورد في السنّة عن شرعية العمل الجماعي:

أما سنة المصطفى ﷺ وسيرته العطرة فإن الانتماء للجماعة كان قاعدة راسخة، والعمل الجماعي المنظم منهجاً واضحا في جميع مراحل الدعوة الإسلامية، منذ بزوغ شمس الرسالة ومرحلة الدعوة السرية في العهد المكي، إلى قيام الدولة الإسلامية في المدينة وتمددها....وقد كان في وجوب الهجرة على المسلمين إلى المدينة المنورة، وانقطاع الولاء والنصرة عمّن تخلف عن الهجرة مظهراً جلياً للدلالة على حكم الانتماء للجماعة المسلمة آنذاك، حيث اقتضت المرحلة التي مرت بها الدعوة

---

(١) مجمع الفتاوى، ج ١١، ص ٩٢.

الإسلامية الناشئة في تلك الظروف أن يلتحق المسلمون بالمدينة، ليحقّقوا الانتماء للجماعة المسلمة، ويؤسسوا المجتمع المسلم عملياً على أرض الواقع، قال جلّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢] ، قال الشوكاني في فتح القدير: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾: « أي ما لكم من نصرتهم وإعانتهم، أو من ميراثهم، ولو كانوا من قراباتكم لعدم وقوع الهجرة منهم حتى يهاجروا فيكون لهم ما كان للطائفة الأولى الجامعة بين الإيمان والهجرة». وكان ذلك الحكم في تلك الفترة صورة من صور التأكيد على الجماعية في العمل الإسلامي، أما الهجرة (فلا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

كما ورد الحث على التزام الجماعة في أحاديث كثيرة منها: ما أخرجه أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**» ، وقوله ﷺ : «**... ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمّروا عليهم أحدهم...**» [1]. يقول الإمام

---

(١) رواه أحمد في مسنده٢/ ١٧٧.

ابن تيمية - رحمه الله - معلقاً على هذا الحديث «**فإذا كان أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولي أحدهم: كان تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك...**» (١). وقد تأكد وجوب طاعة الأمير كدليل على مفهوم «الطاعة» الذي يشّكل عصب الالتزام التنظيمي للجماعة قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**»(٢).

* استدلال تاريخي على شرعية العمل الجماعي:

يشهد تاريخ الأمّة الإسلامية منذ القرون المفضلة الأولى إلى سقوط الخلافة الإسلامية في القرن العشرين، سواء في فترات القوة والمجد والتمكين أو فترات الضعف والهزيمة، أن وحدتها تحت قيادة مؤمنة وقادرة، واعتصامها بحبل الله تعالى كانت من أهم عوامل القوة، ففتوح بلاد فارس وفتوح المشرق وفتوح بلاد الشام وفتح الشمال الإفريقي وفتح الأندلس والوصول إلى البوابة الغربية لأوروبا، والانتصارات الباهرة للمسلمين في القادسية ونهاوند واليرموك وحطين واستعادة

---

(١) الفتاوى ج ٢٨، ص٦٥ نقلاً عن فقه الموازنات / معاذ البيانوني.

(٢) رواه أحمد.

بيت المقدس وعين جالوت والزلاقة والأرك وغيرها من المعارك في المشرق والمغرب، دلائل واضحة على وجوب الوحدة والعمل الجماعي لهذه الأمّة، تستدفع به أسباب ضعفها المتمثلة في التفكك والتنازع والفرقة.

...ومما ورد في التاريخ عن فضل الجماعة والتمسك بالعمل الجماعي (أن المهلب بن أبي صفرة دعا ابنه حبيباً ومن حضره من ولده، ودعا بسهام فحزمت، ثم قال: أفترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا: لا، فقال: أفترونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا: نعم: قال فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله، وصلة الرحم، فإن صلة الرحم تنسئ في الأجل، وتثري المال، وتكثر العدد... وأنهاكم عن القطعية فإن القطعية تعقب النار، وتورث الذلة والقلة، فتحابّوا وتواصلوا وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا، وتباروا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون فكيف ببني العَلَّات ؟ وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من قولكم، فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تّزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك)[1].

---

(١) المرجع: الدولة الأموية ص ٣٨ – د. علي الصلابي .

* الاستدلال بالواقع على شرعية العمل الجماعي:

أما عند النظر إلى واقع الأمة الإسلامية اليوم... والتحديات التي تواجه عقيدتها الإسلامية وثوابت دينها وقيمها الأخلاقية ووجودها الحضاري، ناهيك عن جرائم الاعتداء والمساس بمقدساتها والاحتلال لبلدانها والانتهاك لحقوقها واغتصاب مقدراتها، وما كان وراء ذلك من تخطيط جماعي وتدبير ماكر.. شاركت فيه دول ومنظمات وأطراف عديدة من أعداء الأمة ومن بني جلدتنا ومن غيرهم، فإن مواجهة ذلك لا يمكن أن تكون جادة ومثمرة وفاعلة إلا بعمل جماعي منظم، يرفع للإسلام صوته، ويحقق لدعوة الله وجودها وتأثيرها أمام تلك الأمواج المتلاطمة من تيارات التغريب والعولمة والتطبيع مع أعداء الأمة....

ومما يؤكد شرعية العمل الجماعي ووجوبه، أن الأمة ما وصلت إلى هذا الوضع المؤلم إلا بعد تفرق كلمتها، وتشتت جمعها، وتصدع بنيانها، الذي كانت إشارته الأولى سقوط الخلافة الإسلامية في الربع الأول من القرن العشرين....

وما يزيد حجة الداعين للعمل الإسلامي الجماعي والمنظم قوة وقناعة وقبولاً، أن الأمة اليوم ما شرعت في استعادة هويتها وتعطيل مخططات أعدائها، والوقوف مرة أخرى أمام ذلك التحدي الحضاري إلا بعد قيام حركات إسلامية في شتى بلاد المسلمين، بل وفي ديار الغرب، أخذت زمام المبادرة، وارتضت حمل المسؤولية وشرف أمانة

تمثيل الأمة في هذه المواجهة على مختلف الأصعدة الفكرية والسياسية والاقتصادية وحركات المقاومة للمخططات الصهيوأمريكية.

من هذا المنطلق كان مفهوم الانتماء قاعدة أساسية من قواعد العمل الإسلامي الجماعي، وركناً من أركان التعاهد والبيعة بين الدعاة المنضوين تحت لوائه، مما جعل بنيان الحركة الإسلامية بنياناً متماسكاً ومتنامياً وفاعلاً، قال جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] . وقد وصف النبي ﷺ ذلك التلاحم بقوله: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»(١) .

شوائب الانتماء:

إلا أن المراقب لمسار الحركة الإسلامية، والمتتبع لمدى تطبيق هذا المفهوم في واقع المنتمين لها هذه الأيام... يلحظ بعض الشوائب التي شابته، ويتحسس ظهور أعراض وأمراض تمس حقيقته.. وتشّوه جماله... وتضعف أثره وفاعليته، نعرض لها فيما يلي.... مع الإشارة إلى ما ينبغي فعله للاستدراك عليها:

---

(١) متفق عليه.

أولاً - الانتماء والحسابات الشخصية:

معلوم أن من ينتمي للحركة الإسلامية، ويقبل أن يكون عضواً ضمن تشكيلاتها وعاملاً لتحقيق رسالتها، ملتزماً بمقتضيات ومتطلبات ذلك الانتماء، إنما هو في الحقيقة يتنازل عن شيء من ذاته.... ويتخفف من بعض نزعاته... في سبيل أن يتجانس ويتجاوب مع متطلبات ذلك الانتماء، وهذا هو مفهوم «التجرد» الذي عناه الإمام البنا رحمه الله في (رسالة التعاليم)، وجعله ركناً من أركان البيعة.... بأن يترفع الداعية عن الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية والانتماءات الأخرى في سبيل دعوته ورسالته، حيث قال رحمه الله «أريد بالتجرد:

أن تتخلص لفكرتك مما سواها من المبادئ والأشخاص، لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ [البقرة: ١٣٨] ، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف: مسلم مجاهد ، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أو ذمي معاهد، أو محايد، أو محارب ،

ولكلٍ حكمه في ميزان الإسلام ، وفى حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات، ويكون الولاء أو العداء'.

قال تعالى: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

تحذير نبوي:

وفي هذا المقام أرشد النبي ﷺ في تحذيراته النبوية من الفتن التي تصيب الأمة والجماعة المسلمة... والأدواء التي تهدد الجماعية في العمل، فقال ﷺ : «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرةً، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهنّ مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم**»[1]... ففي هذا الحديث إشارة واضحة للأمراض التي تفتك بوحدة الجماعة، فالشّح داء يصيب غريزة «الأنا» وحب الذات في النفس البشرية... إذا ما تعاظم في نفس الداعية وتجاوز القدر البشري الفطري، عندها سيضعف تأثير الدوافع النبيلة التي ساقت الداعية للانتماء للجماعة المسلمة، وربما تلاشى ذلك التأثير تدريجياً أمام

---

(١) رواه الترمذي.

ذلك التعظيم للذات... فإن الشّح إذا استحكم في قلب المرء سهل وقوعه تحت غائلة الهوى، فيقع أسيراً لهواه .كما ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه «الكلم الطيب» عن شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه للمحبوس والمأسور، فقال: «المحبوس: من حبس قلبه عن ربه... والمأسور: من أسره هواه»... وهو في الحقيقة والواقع حبس وأسر وقيد، إذ لا يتمكن المرءُ حينها من أن يتخذ قراراً ينطلق من نظر عقلي ورؤية ثاقبة لما هو حق ومصلحة، كما أن الشّح سيجعل أعراض الدنيا وشهواتها هي المؤثرة على آرائه وقراراته، وهذا التعلق في الدنيا إذا استحكم في قلبه قاده لعبوديتها... فهي الآمرة الناهية، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقد ورد ذلك الوصف في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**تعِس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة، كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع...**»[1].

والمظهر الدال على وقوع المرء في تلك الأدواء هو إعجابه بنفسه...

---

(١) رواه البخاري.

وتعظيمه لذاته.... فلا يقبل عندها نصحاً ولا إرشاداً...عندها تختل كفتا الميزان التي تحمل إحداهما النزعة الفردية، والأخرى متطلبات الانتماء... فترجح عند ذاك الكفة الأولى... حينها لا يكون رأي الجماعة صوابا إلا إذا وافق رأي الفرد، ولا يكون القرار ملزماً إلا إذا راعى مصالحه وآراءه، ويطول الجدال والمراء من طرفه، ليثبت صحة رأيه في إطار وستار من الادعاء بأنه يتحرى صالح الجماعة... ويسعى من أجل تحقيق أهدافها...! وأنه لا يقول ذلك لدوافع شخصية ومصالح ذاتية... فإذا ما تم الأمر على غير هواه... تململ... وتضجر... وأخذ يسعى يمنة ويسرة للتشكيك والتخذيل والاعتراض.... والتهرب والتأويل، وصدق الشاعر إذ يقول:

رأيت الفتى يزداد نقصاً وذلةً

إذا كان منسوباً إلى العجب والكبر

ومن ظنّ أن العجب من كبر همّة

فإنّي رأيت العجب من صغر القدر

لم تكن مثل هذه الأعراض ظاهرة في المراحل الأولى للدعوة، حيث كانت التربية الإيمانية سائدة، والشعور بالانتماء قوياً، والصفاء في النفوس مستحكماً.... ولم يتعرض الدعاة - بعد - إلى الضغوط الحياتية وجواذب البروز الاجتماعي والسياسي، ولا إلى مغريات المناصب

الوظيفية والوجاهة الاجتماعية، ولم تكن في قضايا الدعوة آنذاك ما يوجب الخلاف والنزاع....ولكنها برزت في مراحل لاحقة لتكشف صدق الانتماء وأصالة التربية وعمق الإيمان لدى الفرد..

لقد عاب المولى عّز وجّل على فئة ضعيفة الإيمان فهمت الإسلام أنّه شاةٌ وبعيرٌ وطعامٌ، فإذا صلحت أحوالهم المادية تلك قالوا: هذا دين حسن، وان أصابهم شظف العيش تنكبوا وارتدوا على أعقابهم فقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١] ، (قال القرطبي: نزلت في أعراب كانوا يقدمون على النبي ﷺ فيسلمون، فإن نالوا رخاء أقاموا، وإن نالتهم شدة ارتّدوا. وقيل: نزلت في النضر بن الحارث. وقال ابن زيد وغيره: نزلت في المنافقين. ومعنى على «حرف» على «شك»، قاله مجاهد وغيره. وحقيقته أنه على ضعف في عبادته، كضعف القائم على حرف مضطرب فيه. وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد. وقيل: على حرف أي على وجه واحد، وهو أن يعبده على السّراء دون الضّراء، ولو عبدوا الله على الشكر في السّراء والصبر على الضّراء لـمـا عبدوا الله على حرف...) [1]. وفي ذات السياق نقرأ قوله تعالى:

---

(١) القرطبي.

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٢ – ٧٣] ، ونُبَرِّئ من سلك سبيل الدعاة أن يقع في خصلة من خصال النفاق والتلّون، ولكنّه ابتلاء وامتحان لا يفطن له إلا أولو الألباب من الدعاة....

أولئك المخلصون... المتّقون... الصادقون... الذين يهديهم ربهم بإيمانهم... والذين إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون... الذين يلّحون على ربهم دوماً بطلب الثبات والرشاد بقولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران، آية: ٨]... الذين تعلقت نفوسهم بما عند الله تعالى في جنان الخلد... تعلقاً رفعهم عن أوحال الهوى وأعراض الدنيا الزائلة... فهم، وان أصابهم ما قد يصيب البشر من الزلل، إلا أنّهم سرعان ما يتذكرون المآل والعاقبة... ويتذكرون أنهم لم ينتموا لدعوة الله طمعا في دنيا ولا رغبة في جاه... ويستكثرون على أنفسهم أن يتخلى احدهم عن دعوة الله بعد سنوات من البذل والعطاء لشّح مطاع... أو هوىً متبعٍ... أو دنيا مؤثرةٍ... أو لإعجاب كل ذي رأي برأيه.

ومن المواقف المؤثرة في اثر التجرد من الأهواء الشخصية على بناء الأمة ما ورد في الدراسات التاريخية... حين تساءل المؤرخون عن سبب طلب الخليفة الوليد بن عبد الملك من قائد الفتح الإسلامي للأندلس موسى بن نصير أن يرجع لدمشق وهو في أوجّ مجده وانطلاقة فتوحاته... وقيل أن من الأسباب لذلك الاستدعاء ما أوغر به الحسّاد صدر الوليد على موسى بأنه يريد الاستقلال بولاية الأندلس عن الخلافة، «**وقد سأل المهلّب بن أبي صفرة موسى بن نصير عن ذلك السبب، فأجابه موسى وقال: (والله لو أردت ذلك ما نالوا من أطرافي طرفاً، ولكني آثرت الله ورسوله، ولم نر الرجوع عن الطاعة والجماعة)**»[1]، فتأمل كيف حفظ الله تعالى هذا القائد الكبير من الزلل والنكوص عن الجماعة، بعد أن سلم قلبه من الشح المطاع والهوى المتبع والدنيا المؤثرة وإعجابه بنفسه.

ثانياً - الانتماء ودعاة اللاانتماء :

يتعرض الدعاة المنتمون للحركة الإسلامية بين الفينة والأخرى لجدال وتعريض من بعض المتدينين الذين لا ينتمون لأي جماعة... أو ممن خاض تجارب سابقة لم يوفق فيها للاستمرار في طريق العمل

(١) صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي. د. علي الصلابي.

الإسلامي الجماعي، وفضّل أن يبقى طليقاً متحّرراً مما يراه قيوداً على نشاطه وحركته... فيكرّر على مسامع الدعاة محاسن الفردية وعدم الانتماء... وأن خدمة الدين لا تشترط الانتماء الجماعي... وان من الأفضل حلّ التنظيمات وتفكيك الجماعات... وأنه يتمتع الآن بحياة حرة وسعيدة...! وربما أوقع هذا التكرار والجدال في نفوس بعض الدعاة أثراً وتصديقاً، لاسيما إذا استودع الداعية تلك الدعاوى في ذاكرته... وأوجد لها آذاناً صاغية وقلباً واعياً، إذ سرعان ما تنتقل من ذاكرته إلى قلبه ومشاعره، وتظهر بفلتات لسانه عند حدوث اختلاف مع أخوانه الدعاة، أو عند اشتداد ضغوط العمل الجماعي عليه، فيجد لها أصداءً تتردد في نفسه... تحدّثه وتّزين له حياه الفردية واللاانتماء...

إن الوقوع في براثن هذا التزيين مظهر صارخ لأثر التباس الحق بالباطل، والفاضل بالمفضول، ونسيان القواعد والأصول، واقتصار النظر على السلبيات دون تذكّر المحاسن والإيجابيات... وينبغي هنا التنويه والتأكيد على أننا لا نشير بعين التنقيص للجهود الفردية التي يقوم بها بعض الدعاة الذين لا ينتمون لجماعة معينة، بل هناك جهود مباركة ومشهودة ومساندة للعمل الجماعي وداعمة له، وليس الحديث عمن ترك العمل الجماعي، ولكنه احتفظ بوفاء في قلبه، وعفاف في لسانه عن الحركة، ومروءة تدفعه لتلبية ندائها حين تناديه، إنما الحديث

هنا عمن سلك بإرادته سبيل الانتماء الجماعي ثم وقف.. وتردد... واتخذ قراره بالتخلي عن العمل الجماعي بحجة أن الفردية هي الأولى والأفضل مع تنقيص للعمل الجماعي وهمز ولمز....، أو لذلك الذي شهر سلاحه ضد العمل الإسلامي المنظم تشويهاً وتشكيكاً في مسيرته وتخذيلاً للدعاة عن خوض غماره...

ولدفع هذه الشبهات وتمحيص صدور الدعاة منها نذكّر بالحقائق التالية:

الحقيقة الأولى:

إن الداعية المنتمي للعمل الجماعي، يرتكز في انتمائه إلى قواعد شرعية مستمدة من كتاب الله تعالى وسنّة النبي ﷺ وسيرته العطرة التي تحّث، وبشكل لا يقبل التشكيك، على العمل الجماعي لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية في واقع الحياة، وليس إلى رؤية شخصية وقناعة ذاتية وعاطفة جياشّة...، والسؤال هو لمن تخلى عن العمل الجماعي: **من أي منطلق يستمد موقفه بالتخلي عن العمل الجماعي.. وصدّه غيره عنه...؟ وهل تخليه عن انتمائه السابق كان نتيجة تأمل في كتاب الله أو سنّة رسول الله ﷺ واستنباط فقه جديد وحكم مستجد، يعارض ما آمن به يوم انتمى للجماعة الإسلامية..؟ أم لخلافات شخصية تغلفت بآراء فكرية؟**

أو عجز عن تحمل تبعات الانتماء؟ أو لانشغالات خاصة؟ أو لقناعات شخصية في أسلوب الحياة ؟... لا شك أن للمرء الحرية الكاملة في اختيار أسلوب الحياة الذي يرتضيه، وقناعاته التي يؤمن بها... ولكن قلب الحقائق... وطمس الفضائل... وتغليف القناعات الخاصة بغلاف شرعي ومصلحي... هو الذي يستنكر.

الحقيقة الثانية:

هل ينكر اللامنتمي أثر العمل الإسلامي الجماعي على واقع المجتمع في النواحي الاجتماعية والأخلاقية والسياسية..؟

وعلى تمسك الناس بالقيم والأحكام الشرعية، وانتشار الشعور الديني بشكل واضح في أوساط المجتمع....؟

وانتشار مؤسسات ترعى النشء والشباب، وتعالج الظواهر السلبية كتعاطي المخدرات والمسكرات..؟

وانتشار مؤسسات تحفيظ القرءان والعلوم الشرعية....؟

وانتشار المؤسسات الاقتصادية الإسلامية التي كانت بذرتها الأولى نتاجا لتحرك الدعاة والمصلحين، وهي اليوم قد أصبحت محطّ نظر العالم أجمع بعد الأزمة المالية الأخيرة التي وقعت في أمريكا وجرّت إليها العالم أجمع.....؟

فضلاً عن الوجود الإسلامي في المؤسسات الدستورية..؟

أليست تلك آثار واضحة لدور الحركة الإسلامية.... ؟ وأين دور ذلك الذي تخلّى عن العمل الجماعي، وأخذ يكيل له الاتهامات من هذا كله... ؟ أما كان من الأجدر له أن ينال نصيباً من ذلك الدور في دعمه ومساندته ومشاركته في زرع تلك الثمار اليانعة للحركة الإسلامية.. ؟ أو في كفّ أذاه عن التخذيل والتثبيط...؟ **عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله. قلت: أي الرقاب أفضل ؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً. قال قلت: فإن لم أفعل ؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق قال: قلت يا رسول الله إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال: تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»**[1].

الحقيقة الثالثة:

إن الفيصل في تحديد الموقف من انتماء الفرد للجماعة وتخليه عن انتمائه هو تحديد الفرد لرسالته في الحياة... وما هي غايته وأهدافه....؟ فإن كان المرء عالماً بحقيقة الرسالة الإسلامية... مدركاً لأهدافها... واعياً لواقع الأمة الإسلامية اليوم... مستشعراً لآلامها... متأملاً

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه.

لآمالها... غيوراً على ضعفها... مترقباً لنهضتها..ثم حدد موقعه من هذا كله، فانه – بلا شك – سيكون ضمن التشكيلات المباركة للحركة الإسلامية أو داعماً ومسانداً ومؤيداً لمسيرتها.....أما من تواضع علمه وقصر وعيه، ولم يحرك واقع الأمة في قلبه ألماً ولا أملاً، وارتضى أن يكون على هامش الحياة، يعيش كما تعيش الدهماء، إن فكر – في أفضل أحواله – فسيفكر في صلاح نفسه وإعالة أسرته واستقامة أبنائه، فالأولى في حقه، إن لم يكن لبنة في البناء، ألا يكون معولاً للهدم.

ثالثاً – الانتماء والإيمان بالفكرة:

* جوهر الانتماء الفاعل هو: **الإيمان بالفكرة**، ويعني: **الإيمان برسالة الإسلام كمنهج للحياة، حياة الفرد، وحياة المجتمع، وحياة البشرية... كما يعني الإيمان بشرعية العمل الجماعي وأهميته لتحقيق رسالة الإسلام وغاياته السامية، وهذا كله يعني أن الانتماء للعمل الجماعي إنما هو اعتقاد والتزام بمبادئ وقيم وأهداف ومنهج....ثم هو دعوة لتلك المبادئ والقيم والأهداف والمنهج**، قال جل وعلا على لسان نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، قال الإمام الشوكاني: (**أدعو إلى الله على بصيرة: أي على حجة واضحة، والبصيرة:**

المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل، ... قال الفراء: والمعنى: ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو. وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده)[1].

ويتجلّى الإيمان بالفكرة أجمل تجل في سيرة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، حيث كانت سيرتهم تجسيداً بيناً لذلك الإيمان..... ومن المواقف الناصعة على ذلك: موقف رِبعي بن عامر رضي الله عنه حين سأله رستم قائد الفرس قبيل معركة القادسية فقال له: ما جاء بكم؟ فرد عليه موضحاً إيمانه العميق بالفكرة التي حملته على الجهاد في سبيل الله: وقال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام؛ فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منّا ذلك قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قال له رستم: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي..... فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحبُّ إليكم؛ أيوماً أو يومين؟ قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا....

---

(١) فتح القدير للإمام الشوكاني.

وأراد رستم أن يقرب ربعيّاً منه وأن يدنيه، وأن يحسن له القول، ويزيّن له الحديث؛ لعلّه يجد منه إيناساً به أو ركوناً إليه؛ فيمنّيه أو يَعده؛ لعله بهذا يرجع إلى قومه بوجه غير الذي جاء به، ولكن ربعيّاً يبدّد الوهم بالجد من القول، فقال: «**إن مما سنّ لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا أن لا نُمكّن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجّلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث؛ فنحن متردّدون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: اختر الإسلام وندعك وأرضك...أو الجزية فنقبل ونكفّ عنك، وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك... أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي، وعلى جميع من ترى من قومي....! قال: أسيّدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد لبعضهم من بعض؛ يجير أدناهم على أعلاهم.**

وخلا رستم برؤساء قومه وقال لهم: ما ترون؟ هل رأيتم كلاماً قطّ أوضح ولا أعزّ من كلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى دين هذا الأعرابي الجائع!... أما ترى إلى ثيابه؟! فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة؛ إن العرب تستخفّ باللباس والمآكل ويصونون الأحساب، وهم ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترون».

ويعبّر الإمام البنا رحمه الله عن أثر الإيمان بالفكرة على انتماء الفرد لدعوته، وفاعلية ذلك الانتماء، فيقول في رسالة (دعوتنا في طور جديد): «... **وينظر الناس في الدعوات إلى مظاهرها العملية التي هي في الحقيقة مددُ الدعوات وغذاؤها، وعليها يتوقَّف انتصارُها ونماؤها؛ ولهذا أستطيع أن أقول: إن أول ما نهتم له في دعوتنا، وأهم ما تقوم عليه في نمائها وظهورها وانتشارها، هذه اليقظة الروحية المرتجِلة؛ فنحن نريد - أول ما نريد - يقظةَ الروح... حياةَ القلوب... صحوةً خفاقةً... مشاعرَ غيورةً ملتهبةً متأجِّجةً... أرواحاً طموحةً متطلعةً متوثِّبةً، تتخيل مُثُلاً عليا، وأهدافًا ساميةً؛ لتسمو نحوها، وتتطلع إليها ثم تصل إليها، ولا بد من أن تُحدَّد هذه الأهداف والمُثُل، ولا بد من أن تُحصَر هذه العواطف والمشاعر، ولا بد أن تركز حتى تصبح عقيدةً لا تقبل جدلاً، ولا تحتمل شكًّا ولا ريبًا**».

كما حدَّد الإمام البنا في رسالته (إلى أي شيء ندعو الناس؟) أثر البناء الإيماني في قوة الانتماء اللازمة لنهضة الأمة فيقول: «**إن تكوين الأمم، وتربية الشعوب، وتحقيق الآمال، ومناصرة المبادئ، تحتاج من الأمة التي تحاول هذا، أو من الفئة التي تدعوا إليه - على الأقل - إلى قوةٍ نفسيةٍ عظيمةٍ تتمثل في عدة أمور:**

*** إرادة قوية لا يتطرَّق إليها ضعف....**

*** وفاء ثابت لا يعدو عليه تلوّن ولا غدر....**

*** تضحية عزيزة لا يحُول دونها طمع ولا بخل.....**

*** معرفة بالمبدأ، والإيمان به، وتقدير له يعصم من الخطأ فيه، والانحراف والمساومة عليه، والخديعة بغيره».**

لقد سجل بعض المؤرخين ملاحظة لطيفة في أثر الألقاب التي كان تخلع على أمراء بعض الدول الإسلامية خلال عصور الحضارة الإسلامية على رسالة الدولة وأدائها الحضاري... فلوحظ في تاريخ الدولة الزنكية والدولة الأيوبية أنّ الانتماء للدين ونصرته كانت هي الرسالة الغالبة على الدولتين، حيث كان الصراع الإسلامي الصليبي سائداً في تلك المرحلة التاريخية، فكانت الألقاب عنواناً لتلك الرسالة مثل «عماد الدين» و«نور الدين» و«صلاح الدين»... أما في عهد البويهين - حيث غلب الصراع السياسي على السلطة في حقبتهم - فجاءت الألقاب معبرة عن تلك الرسالة، مثل «عضد الدولة» و«عماد الدولة».

إن مما يستدرك به على مسيرة بعض الدعاة اليوم هو الغفلة أحياناً عن حقيقة الفكرة، وجوهر الانتماء، وغاية الدعوة ورسالتها، إما لطول

الأمد... أو لاحتدام الصراع السياسي والتنافس الحزبي... أو لتأخر تحقيق بعض الأهداف... أو لضغط الواقع الاجتماعي... أو لغيرها من الأسباب، فينطلق الفرد في حركته وآرائه ومواقفه دون استصحاب لحقيقة الدعوة ورسالتها، وأنها فكرة وحركة لا تنفصم إحداها عن الأخرى، فيكون تحركه فئوياً في توصيفه الاجتماعي، وحزبياً مجرداً في وصفه السياسي، ويتحول الإيمان بالفكرة إلى حزمة مشاعر عاطفية جياشة تغّذيها العشرة الطويلة والصحبة الجميلة... فتكون حركته: فزعة قبلية، ودعوته: نصرة حزبية، دون مضمون أو رسالة أو مبادئ، ويكون نشاطه غير محكوم بقواعد وأهداف ومنهج، فيُشوّه الانتماء بذلك التحّول، وربما أصابه الضعف والهزال لفقدانه الوقود المحرك والجوهر المتوقد... فتكون الدعوة منه لأشخاص لا لمبادئ.... ولمصالح ضيقة لا لأهداف سامية... وتصبح العلاقات والزيارات والاتصالات والأنشطة سلوكاً اجتماعياً دون مضمون دعوي ورسالة مرتجاة... وإنّ شباب الحركة الإسلامية اليوم هم من يخاطب بهذا الاستدراك ليتبيّنوا حقيقة انتمائهم، ويستوثقوا صفاء بدايتهم، فإن صفاء الابتداء يعين على صفاء العطاء وسلامة الانتهاء، ويعود ذلك للطبيعة النفسية للشباب حيث تتأجج العاطفة، ويلح حب الانتماء في المشاعر، فينجذب لكيان يحقق فيه ذاته ويفرغ فيه طاقته.

رابعاً - الانتماء الخجول:

* ينتمي بعض الأفراد للعمل الجماعي تحت حاجة مُلِحَّة وظرف معين، وغالباً ما ينطبق ذلك لدى المبتعثين للدراسة في الخارج، حيث يخشى الشاب ووالداه على نفسه في ديار الغربة أن يتعرض للفساد والفتنة التي تموج في ديار الغرب.....عندها تصبح دوافع الحفاظ على النفس، والرغبة في الاحتماء، وليس الانتماء، هي الدافع للارتباط في الحركة الإسلامية....وربما تطور هذا الدافع إلى حالة من التفهم والانسجام مع أهداف الحركة الإسلامية بتحقيق رسالة الإسلام، ومساندة الدعوة الإسلامية، واستمرار المعايشة، والمشاركة لأنشطتها وأفرادها، ولكن بعد انتفاء ذلك الظرف الزماني والمكاني، وتضاؤل ذلك الدافع، مع نبله، نتيجة العودة للوطن وبدء الحياة الوظيفية والزوجية، فإن انتماء ذلك الفرد سيكون انتماءاً خجولاً، لا يبقيه إلا دافع الخجل من هجر تلك الصحبة، ودافع المروءة أن يتخلى عن تلك المعايشة، ولكن ذلك الخجل لن يصمد طويلاً إذ سرعان ما يخفت أثره، ويتضاءل إلحاحه.... فيتوجه ذلك الشاب لتلك الصحبة الصالحة من أبناء الحركة الإسلامية - بلسان الحال - ليقول لهم: "شكراً جزيلاً... وجزاكم الله خيراً على ما قدمتموه لي، حيث عشت بصحبتكم أيام

الدراسة، وحفظتموني من الزلل أيام الشباب..... وقد حان وقت الفراق فلست بحاجة إليكم بعد اليوم... وداعا.. والسلام عليكم».

* إن الانتماء الحقيقي الذي يليق بسمو رسالة الدعوة الإسلامية، ويرتقي لعلو غاياتها، ويتناسب مع خطورة تحدياتها، هو ما كان عن عقيدة راسخة وإيمان عميق وفهم دقيق....عندها يكون انتماءً مبدئياً لا لحاجات شخصية..... وانتماءً راسخاً غير مؤقت.....وانتماءً مصيرياً غير مصلحي، تلك هي شروط الصدق مع دعوة الله التي استحق بها الصحابة الكرام تزكية الله تعالى لهم بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقف الرسول ﷺ يتحاور مع الأنصار قبيل إتمام بيعة العقبة التي أسست لدولة الإسلام في المدينة، يسألونه ويجيبهم... ويستوضحون منه عن تبعات هذه البيعة... ويستوثقون من فهم بعضهم لحقيقة هذه البيعة وما وراءها، يقول كعب بن مالك رضي الله عنه، فيما رواه الإمام أحمد في مسنده وحسنه الشيخ الأرناؤوط: (**فنمنا تلك الليلة - الليلة التي واعدوا فيها النبي ﷺ، وهي الليلة الثانية من أيام التشريق - مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد**

رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا - طائر - حتى اجتمعنا في الشعب - الطريق في الجبل - عند العقبة ونحن سبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت...،

قال: فاجتمعنا بالشِّعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له - فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم، فقال: يا معشر الخزرج: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عزٍّ من قومه، ومنعة في بلده، قال: فقلنا قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك، ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا، ودعا إلى الله عز وجل، ورغب في الإسلام، وقال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم، وأبناءكم، فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق لنمنعّنك مما نمنع منه أزرنا - جمع إزار ويكنى به عن المرأة - ، فبايعنا يا رسول الله - ﷺ - فنحن أهل الحروب، وأهل الحَلَقَة - السلاح - ورثناها كابراً عن كابر، فاعترض قول البراء وهو يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل،

فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال - يعني اليهود - حبالاً وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله، أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدّم الدمّ، والهدم الهدم، أنا منكم، وأنتم مّني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم)... فتأمل كيف استدركوا في ختام تلك البيعة ليستوثقوا من حقيقة الانتماء الذي سيقّرره هذا التعاقد مع رسول الله ﷺ، فأجابهم ﷺ بما رسخ قاعدة الانتماء الحق الذي ينبغي لمن سلك درب الدعاة أن يستودعه سويداء قلبه.

خامساً - الانتماء المحدود والمشروط :

كان رسول الله ﷺ يطوف بقبائل العرب في مواسم الحج يدعوهم إلى الله، وكانت ردود القبائل متباينة من الصد والسخرية... إلى الاستماع والتأني... إلى التفاوض معه ﷺ، وكان منها هذا الحوار مع المثنى بن حارثة وهانئ بن قبيصة، بعد أن عرض عليهما الإسلام:

(قال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، وإنما نزلنا بين صيرين أحدهما اليمامة، والآخر السماوة.

فقال له رسول الله ﷺ: ما هذان الصيران ؟ فقال: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً، ولعل هذا الأمر الذي تدعو إليه تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول، وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك مما يلي بلاد العرب فعلنا.

فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه) (١).

يضع بعض الدعاة حدوداً معينة لانتمائهم، ويمارسون متطلبات ذلك الانتماء ضمن تلك الحدود التي يتم تحديدها بالممارسة الواقعية....ويتم تشكيل ملامحها من طرفهم بالموافقة على تنفيذ بعض الأمور والامتناع عن بعضها الآخر...وكأنّهم بذلك قد جعلوا لانتمائهم شروطاً وحدوداً غير معلنة ولكنها معلومة، وهذا – بلا شك - يرتبط بفهم ذلك الداعية لطبيعة الدعوة التي يحملها، وإدراكه لمتطلبات انتمائه لمثل تلك الدعوة.... فإن كان ذلك الفهم ينطلق من علم راسخ لقواعد وأصول الدعوة...وفهم دقيق لغاياتها ورؤيتها.... وإيمان عميق

(١) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ص ٦٧– د. عبد العزيز التويجري.

بمبادئها ورسالتها، كما وردت في رسائل مؤسسها وأدبياتها، فانه لن يرتضي أن يحّدد لذلك الانتماء حدوداً ولا شروطاً، بل سيرجو أن تكون حاله كحال السلف الصالح من القرن الأول الذين باعوا أنفسهم لله تعالى بعد أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فيرى مصير دعوته مصيره... ومستقبلها مستقبله... وتقدمها تقدمه... يرى بعين البصيرة أن بيعته لها إنما هي بيعة مع الله تعالى، مستشعراً قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]... فكيف يرتضي من بايع الله جل وعلا أن يضع لذلك البيع حدوداً وشروطاً..؟! أما من لم يرتق فهمه لذلك الفهم الدقيق.... ولم يسمُ إيمانه برسالته لذلك الإيمان العميق، فستدخل في بيعته تلك حسابات عديدة، وستشاركه غايات رسالته غايات أخرى، ستجعل انتماءه لها محدوداً وعمله لحسابها مشروطاً: حسابات الوضع الوظيفي..... والوجاهة الاجتماعية.... والعلاقات مع أصحاب النفوذ.... والمستقبل السياسي.... والمصالح التجارية.... والاعتبارات الاجتماعية، كلها ستزاحم «المصلحة الدعوية» في ميزان حساباته، ولن يكون الميزان لدعوته خالصاً نقياً.....

روى ابن إسحاق عن الزهري أن النبي ﷺ أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له: (بيحره بن فراس): «والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب».

ثم قال للنبي ﷺ: «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك...؟».

قال رسول الله ﷺ: «الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء».

قال: فقال له: «أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا....؟!، لا حاجة لنا بأمرك»[1].

كم كان عظيماً ومؤثّراً ذلك الموقف الإيماني البطولي لسعد بن معاذ رضي الله عنه قبيل معركة بدر الكبرى حين استشار النبي ﷺ النّاس بعد أن أصبحت المعركة قاب قوسين، فتكلم أبو بكر، وعمر، والمقداد رضي الله عنهم أجمعين ورسول الله ﷺ يردد عبارته: «أشيروا عليّ أيها الناس»، ففهم سعد الرسالة، وقال: يا رسول الله! كأنك تريدنا..؟ قال: أجل. قال: يا رسول الله! صدقناك وبايعناك وآويناك.... والله ما أخذت

---

(١) سيرة ابن هشام، ج١.

من أموالنا فإنه أحسن مما تركت، فاقطع حبل من شئت، وصل حبل من شئت، وحارب من شئت، وعاهد من شئت.... والله إننا لصُبُر في الحرب، وصُدُق عند اللقاء، ... والله لو استعرضت بنا البحر ما تأخر منا رجل واحد، وعسى الله أن يُرِيَك منا ما تقّر به عينك، فتهلل وجهه ﷺ، وقال: سيروا وأبشروا ؛ فإن الله وعدني بإحدى الطائفتين، إما العير وإما الرجال والنصر.

كان سعد مدركاً لشروط النصرة التي تضمنت بيعة العقبة... ولكنه كان مؤمناً إيماناً راسخاً بأن دعوة كهذه الدعوة، وديناً كهذا الدين لا ينبغي أن يَحُدَّ الانتماءَ له أيةُ حدود، ولا تعيق نصرته أية قيود، ولا تحول دون رفع رايته أية شروط.

سادساً - الانتماء والتصنيف السياسي:

بعد ظهور الحركة الإسلامية على الحياة العامة، وخوضها لغمار العمل العام، ودخولها لمعترك الحياة السياسية، وما ترتب على ذلك من نزولها لميدان التنافس مع القوى المجتمعية الأخرى، وبروز هوية المنتمين لها بوضوح وجلاء، فقد ترتب على ذلك أن تنسحب تداعيات ذلك التنافس أو الصراع على الدعاة المنتمين للحركة الإسلامية كفاتورة واجبة الدفع... عندها أصبحت قضية التصنيف السياسي لبعضهم

تشكل هاجساً يثير القلق في النفوس إزاء تطلعاتهم السياسية، خاصة، والحياتية بشكل عام، وترتب على هذا الأمر أنْ مال البعض للسعي دون بروز انتمائه للحركة الإسلامية بشكل واضح... وربما تنازل البعض تحت وطأة ذلك القلق عن بعض مظاهر الالتزام الشرعي.. فضلاً عن الانتماء الحركي، يتم هذا من طرفهم باجتهاد خاص... وحسابات شخصية... ولغايات دنيوية... ورغبات فردية، وليست من قبيل الترتيب الحركي والحكمة الدعوية الذي تتم بالاتفاق مع إخوانه لتحقيق أهداف دعوية مشروعة، ومصالح معتبرة، ودرء مفاسد معلومة... فإذا حققت الحركة انتصارات وكسبت جولات اقتربوا منها بقدر ما ينالون حظاً من تلك المكاسب... وإن خسرت الحركة إحدى الجولات تواروا عن الأنظار، وتحاشوا أن تتردد أسماؤهم أو صورهم ضمن أفراد الحركة ورموزها، تذكرنا هذه الحالة بما ذكره القرآن الكريم في قوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٢ - ٧٣).

(قال أبو جعفر: وهذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين، نعتهم لنبيه ﷺ وأصحابه، ووصفهم بصفتهم فقال: وإنّ منكم، أيها المؤمنون،

يعني: من عِدَادكم وقومكم، ومن يتشبه بكم، ويُظْهِر أنه من أهل دعوتكم وملتكم، وهو منافق يُبَطِّئُ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليهم، فإن أصابتكم مصيبة، يقول: فإن أصابتكم هزيمة، أو نالكم قتل أو جراح من عدوكم، قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً، فيصيبني جراح أو ألم أو قتل، وَسَرَّهُ تخلفه عنكم، شماتةً بكم؛ لأنه من أهل الشك في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الأجر والثواب، وفي وعيده. فهو غير راج ثواباً، ولا خائفٌ عقاباً. - اهـ الطبري)...

قد يلجأ البعض أحياناً لطرح مواقف فكرية، أو سياسية، وتنازلات مبدئية وشرعية لتعزيز صورته كفرد مستقل في المجتمع، وليوصل رسالة مفادها "أنا لستُ منهم..أنا غير "....ألقى أحد الدعاة المنتمين للحركة الإسلامية محاضرة بدعوة من إحدى الوزارات وكان المسؤول عن الدعوة أحد أفراد الحركة، وبعد المحاضرة صافح بعض المسؤولين في الوزارة المحاضر. وتعمد هذا المسؤول التنحي عن ذلك، ثم انسحب متوارياً عن الأنظار ولحق بالمحاضر قائلا له: «معذرة..لم أشأ أن أصافحك أمام المسؤولين حتى لا يعتقدوا بوجود علاقة لي معك..! ».

إن هذا التذبذب والتواري دليل على تشوه مفهوم الانتماء لدى أولئك النفر، وعلامة على نقص توكلهم على الله جل وعلا، فالمؤمن الحق يؤمن أن الأرزاق - على مختلف ألوانها - إنما هي بتقدير العزيز الحكيم، وأن الأخذ بالأسباب لتحقيق سنة الله تعالى في كسب الرزق لا تعني أن يتخلى المرء عن هويته، ويتخفف من التزاماته الشرعية، ويتناقض مع متطلبات انتمائه، وإيمانه برسالته، وتعلقه بغايته، فإن ذلك لن يجلب رزقاً، أو يدفع سوءاً، كما أن اعتزاز المرء بهويته لن يمنع خيراً قدره الله تعالى له.... ولكن الأمر الأهم هو تحقيق الصدق مع الله، ومع دعوة الله، ومع الناس، والناس يزداد احترامهم وإعجابهم لمن هو واضح غير متلّون، صادق مع نفسه ومع الناس، كم رأينا من الإخوة الذين كانوا يصرحون بانتمائهم الدعوي يعتلون أعلى المناصب القيادية في الدولة، وآخرون تعبت أبدانهم... وأرهقت نفسياتهم... وخدشت مصداقيتهم من كثرة التخفي، والتلون، وتعمد إظهار الصورة المغايرة طمعاً في منصب، وتحقيق لحظوة، فلم ينالوا من وراء ذلك شيئاً.

الفصل الثاني:

استدراكات حول التربية والتطور المرحلي للدعوة:

أولاً - ما هي حقيقة التربية التي نريدها....؟:

التربية: هي عملية تأثير متواصل تُحْدِث تغيراً في السلوك، وهي عملية بناءً إيماني ونفسي وأخلاقي وحركي لتكوين الشخصية الإسلامية الربانية:

- الصادقة، والمخلصة لله تعالى.
- القريبة، المخبتة، الخاشعة لله تعالى.
- العابد، الذاكر لله كثيراً.
- الزاهد في الدنيا، والراغب فيما عند الله.
- الداعي إلى الله، والساعي لنصرة دين الله.

* ونجاح التربية يكون في إحداث تلك النقلة المباركة لدى الفرد، ووضعه على جادة الطريق إلى الله؛ لينطلق بعد ذلك ذاتياً؛ ليسلك سبيل الرّبانيّين، وتكون الجماعة هي الإطار الداعم لهذه المسيرة.

* المؤشر الأهم لنجاح التربية هو: أن تتحقق هذه الذاتية، وهذا السعي لما عند الله والدار الآخرة، كما جاء في سؤال النبي ﷺ لحارثة حين سأله: «**كيف أصبحت ؟ قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً، فرد النبي ﷺ: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك ؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني بعرش الله بارزاً، وكأني بأهل الجنة في الجنة يتنعمون فيها، وكأني بأهل النار في النار يعذبون، فقال النبي ﷺ: أصبت فَالْزَمْ، مؤمنٌ نوّر الله قلبه**» (جامع العلوم والحكم.ابن رجب الحنبلي) .

*و هذا ما ينبغي أن تَنْصَبَّ عليه جهود المربين، إذ الملاحظ أننا نقتنع بما نراه من مشاركات الفرد الجماعية، خصوصاً إذا كان من فئة الشباب، ويسود الانطباع لدينا بنجاح التربية، وينبغي أن ندرك أن نزعة «حب الانتماء» تكون عالية لدى الشباب، وليست تلك المشاركات كافية للاستدلال على نجاح التربية، وعمق تأثيرها في نفوس الشباب، ولربّما غطّى ذلك على المؤشر الحقيقي وهو: كم ارتقى الأخ في صلته بالله تعالى، وكم حقق من خصال الربّانية..؟

* ننشغل أحياناً بالإداريات والشكليات، ونغفل عن الأفعال وحقائق الأمور والأساسيات، ونجاح التربية إنما يكون برسوخ

المعتقد... وتشرب المبادئ... والتمسك بالغاية... والتعلق بالرسالة... والتغيير الإيجابي في الشخصية والسلوك.

* يتداخل لدينا الفهم أحياناً بين الوسائل والأهداف، فنظن أن التربية قد اكتملت بإقامة الأنشطة التربوية، ونغفل عن إدراك أنّها وسيلة للوصول إلى الغاية التي هي «بناء الشخصية الربانية»، فلا ندقق تدقيق المربي الحصيف الذي يكتشف حقيقة اثر تلك الأنشطة على الأفراد، وهل نجحت التربية في بناء الربانية وتَحَقّقِ معالمها في شخصياتهم أم لم تنجح..؟

ثانياً - روحانية الداعية:

ما هي الروحانية.. ؟ وهل يحتاجها الداعية... ؟ وكيف ينالها...؟

الإنسان مخلوق من روح وجسد، لكل منها غذاؤه وأدواؤه، فالروح غذاؤها: الإيمان والعبادات القلبية، والأعمال الصالحة، وأدواؤها: قسوة القلب، وجفاف الروح، والغفلة، وطغيان الشهوات، والغل، والحقد.. وللجسد غذاؤه المعروف، وأدواؤه، وأمراضه.

الروحانية: هي قوة الإيمان الباعثة على العمل الصالح، والحاجزة عن السوء والخاضعة لحكم الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

الروحانية: هي الشعور الدائم بقرب العبد من ربه، وعظيم صلته به، والتزامه ذِكْرَه وتذكَّره، وتعظيم مراقبته جل وعلا في قلبه، والإخلاص له جلّ وعلا، قال ابن القيم رحمه الله: (**اعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح**)، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

الروحانية: هي العاطفة الجياشة، والإحساس المرهف تجاه الحسنات والسيئات، والمعايشة الشعورية لأحوال الآخرة، والتي تولّد التذكر الدائم، والهمة العالية، والعزيمة المتوقدة تجاه نيل رضوان الله وجناته، والنجاة من سخطه وعذابه، والله جلّ وعلا امتدح أنبياءه بخصلة جليلة هي التذكر الدائم للآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٦ - ٤٧].

قال ابن قتيبة: (ذو الهمة إن حطّ فنفسه تأبى إلا علوًا... كالشعلة من النار يصّوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً).

والروحانية: تتجلى في حالة التوازن بأن لا يعيق الجسد سمّو الروح وشفافيتها وعلوها، فتظل حركة الروح متنامية، واحتياجات الجسد ملبّاة بما يعين على السمو الروحي، والارتقاء الإيماني، كما قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

ثالثاً - لماذا يحتاج الداعية إلى التربية الإيمانية ؟:

١ - حاجة لخاصة نفسه:

أ - لنيل رضوان الله في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢] وبناء شخصيته الإسلامية بشكل متنامٍ... فالإيمان بضع وستون شعبة ، والجانب الروحي والإيماني أهم جوانب الشخصية.

ب - حاجته للإخلاص والصفاء والتجرد؛ ليحقق مراد الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] ، وجاء في

الحديث: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» [رواه مسلم].

ت - لنيل مرتبة الولاية لله تعالى: قال ابن حجر عن الوّلي: «هو العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته»[1] ، وتدور حول ثلاثة معاني: الحب والقرب والنصرة.

فإن سأل سائل: و لماذا الولاية ؟ كان الجواب: لأنها في الدنيا: حفظ ونصرة وقرب وإجابة.

وفي الآخرة: بشارة عند الموت، وثبات في القبر، وفوز بالجنة، ونجاة من النار. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢] . روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر وهو يخطب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ فقال: استقاموا والله على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا رَوَغَان الثعالب، وقال عثمان رضي الله عنه: ثم أخلصوا العمل لله. وقال

---

(١) فتح الباري.

علي رضي الله عنه: ثم أدوا الفرائض. قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ أي تقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ ﴾ قال مجاهد: أي نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى نُدْخِلكم الجنة. وقال السدي: أي نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا، وأولياؤكم في الآخرة. ويجوز أن يكون هذا من قول الله تعالى، والله ولي المؤمنين ومولاهم. ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم أي: من الملاذ، ولكم فيها ما تدعون تسألون وتتمنون[1].

ث - حاجته للصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى قدر الله، وحاجته للثبات والاستقامة على دين الله، والروحانية هي وقود الصبر، وسبيل الثبات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران ٢٠٠].

ج - حاجته للرّبانية ليكون مؤهلاً لخدمة دين الله، قال ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً استعمله**»، قيل: كيف يستعمله؟! قال: «**يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عليه من حوله**». (رواه أحمد).

ح ـ حاجته للاستقامة حتى يلقى الله، كما أوصى ربّنا وقال:

---

(١) القرطبي باختصار.

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] ، ويكون من أهل البشارة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠] .

٢ - **للاحتياج الدعوي:** يحتاج الداعية للتربية الإيمانية في مسيرته الدعوية لدوافع عدة، منها:

أ - إن الإيمان جوهر الفكرة الإسلامية، ووقود الدعوة الإسلامية، وإنما يتحقق أثر الدعوة بانتصاب الدعاة قدوات، يكون أحدهم تقياً نقياً عابداً ملتزماً.

ب - حاجته للهمة العالية والعطاء المتواصل والعزيمة الصادقة، قال عمر بن عبد العزيز «**إن لي نفسا تواقّة لم تزل تتوق للخلافة فلما نلتها تاقت إلى الجنة**»، ومن الحكم الجميلة قول الشاعر:

وكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

ت - حاجته لعدم اليأس، والأمل الدائم، والثقة بالله والتي وقودها التربية الإيمانية العميقة.

ث - حاجته للتوفيق والسداد والنصر لدعوته، قال تعالى ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟

فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦] ... تساءل قتيبة بن مسلم لما تقاتل الجيشان «**أين محمد بن واسع؟**» **فقيل له هو ذاك رافعاً إصبعه يدعو الله تعالى فرد عليهم: «تلك الإصبع أحب إلى الله من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير»**.

ج - حاجته للتأثير لا التأثر، وإنما يتحقق رسوخ الشخصية وقوة تأثيرها بعمق الإيمان في النفس.

ح - حاجته لترسيخ الأخّوة الإسلامية التي هي أوثق عرى الإيمان، ولا تصفو الإخوة ولا ترتقي إلا بقلوب نقية تقية.

خ - حاجته للصبر، والمواصلة بعزم، وحماية قلبه من أمراض الوهن والخوف والمثبّطات.

رابعاً - كيف تتحقق التربية الإيمانية...؟:

تتحقق التربية الإيمانية بالعلم والعمل وفق منهج بّينه المصطفى ﷺ في الحديث القدسي بقوله: « **إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله**

التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءلته» رواه البخاري.... ومن هذا الحديث الجليل نستنبط منهاجية تحقيق التربية الإيمانية، والتي من سماتها أنّها:

١ - عقائدية: أساسها الإيمان بالله واليوم الآخر.

٢ - مستمرة: بأوراد يومية، وأسبوعية، وشهرية، وسنوية.

٣ - متدرجة: تبدأ بالفرائض، ثم تتدرج بالنوافل

٤ - عملية: بالعبادات والعمل الصالح.

٥ - منهجية: بقواعد وأصول شرعية وتربوية.

• وهذه التربية يمكن تحقيقها من خلال:

١ - المجاهدة للنفس والرقي بها في درجات الإيمان، وعدم المقارنة بمن هو أدنى بالأعمال بل النظر لمن هو أعلى وأرقى ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

٢ - معايشة الصالحين، والاقتداء بالمصلحين، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال أحد السلف: «صاحب من تذكّرك بالله رؤيته، ويزيد في علمك عمله».

٣ - طلب العلم والاستزادة منه بالقراءة، والسماع، والمجالسة.

٤ – الدعاء.

٥ – استثمار مواسم الخير، والاستقامة بعدها.

٦ – تذّكر أحوال الآخرة، وأهوالها، ومعايشتها في العبادة والسلوك.

واقع... واستدراكات :

وهنا يلح الواقع علينا بأن نتساءل:

- كم تشّكل التربية الإيمانية اليوم من حيّز الاهتمام، والتفكير، والتخطيط، والمتابعة لدى الدعاة؟!
- كم نفكر(فرادى وجماعات) بمستوى صلتنا بالله تعالى.. ؟
- كيف هي طهارة قلوبنا...؟...كيف هي زكاة نفوسنا.؟
- كم نفكر بما عند الله من نعيم ورضوان..؟
- كيف هي عبادتنا.. ونوافلنا.. وأذكارنا... وأورادنا.. ؟
- كيف هو تحرّينا لسنن المصطفى ﷺ؟
- كيف هو تحرينا للحلال والحرام في تعاملاتنا ومعيشتنا..؟
- كيف هي بيوتنا وأهلونا من حيثُ الالتزام الشرعي ؟
- كم تعمّر التقوى في قلوبنا؟.... كم عمرت هذه القلوب بالنقاء، والإيثار، والحب لله تعالى ولرسوله ﷺ ؟

- كم برأت قلوبنا من الغّل، والحسد، وسوء الظن، والتنافس على المكاسب والمناصب ؟
- هل نحن ربانيون كما يريد ربنا جلّ وعلا ؟

واقعنا يشير إلى أن بعض الدعاة فهموا أن التربية تتحقق بالمعايشة العاطفية، والمشاعر الوجدانية... وتضاءل إدراكهم أن قاعدة البناء التربوي إنما تَرَسَّخ بالعبادات الخاشعة والمتواصلة، والتزام الذكر والتلاوة، وتحري السنن النبوية والتزامها، ومجاهدة النفس على ذلك، حتى تصبح تلك الأعمال الصالحة جزءاً من معالم شخصية الداعية...

ما قيمة المشاعر الإيمانية إذا لم تجعل الفرد مواظباً على صلاة الفجر جماعة، متألماً لفواتها؟... متقدماً للصفوف الأولى في المساجد...؟ محافظاً على الأذكار والتلاوة، لا يكاد يغفل عنها يوماً واحداً ولا يتهاون بها ساعةً؟... مبكراً لصلاة الجمعة (لا كما نرى اليوم من تقدم بعض العوام لها، وتأخر بعض الدعاة، الذين لا يحضرون للجمعة إلا بعد صعود الخطيب للمنبر)... مواظباً على صيام النوافل... متابعاً للحج والعمرة... ملحَاحاً في الدعاء والتضرع لله تعالى... كثير التصدق والبذل... حافظاً لجوارحه عن الآفات والمعاصي... متورعاً في كسبه ومعاشه..

أسئلة هامة ينبغي أن تطرح بعمق وجدية لمعرفة موقع التربية الإيمانية اليوم في سلم الأولويات لدى أفراد الحركة ومجاميعها، لاسيّما في أجواء الانفتاح العام والانشغال الاقتصادي، والرفاه الاجتماعي، وثورة الاتصالات، وتعدد المجالات... ليظل بناء الدعوة قائماً على التقوى كما يريد ربنا ويرضى حين قال جلّ وعلا: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ... ﴾ [التوبة: ١٠٩].

خامساً - التربية الجَماعية والتربية الذاتية:

التربية الجماعية: وسيلة لتحقيق الهدف الأهم وهو «**التربية الذاتية**»، إذ إنها البيئة التي تهيئ الأجواء المناسبة لارتقاء الفرد إيمانياً وفكرياً وحركياً، ونجاحها يتحقق عندما ينهض الأخ بذاته لتوثيق صلته بالله عز وجل، واستكمال بنائه التربوي والفكري والحركي وذلك من خلال: -

- اكتسابه لشعب الإيمان، شعبة بعد شعبة، فإنما شعب الإيمان بضع وستون شعبة، تشمل جوانب الشخصية جميعها، والتربية الذاتية تقوم على اكتسابها لاستكمال متطلبات محبة الله للعبد، وبلوغه مرتبة الولاية، كما ورد في الحديث القدسي « **ما تقّرب إليّ عبدي بشيّ أحبّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...**»(١).

---

(١) تقدم تخريجه.

- تحصيله لخصال الرّبانّيين، وتحقيق الربّانية في عقيدته، وسلوكه، وهمّته، وعبادته القلبية، وعباداته الظاهرة.
- التفرد بالطاعات، والقربات، والنوافل، وتلاوة القرآن، فَيُكَوِّنُ له أوراداً خاصة، وأعمالاً خفية منها، ويتدرج في تحقيق الفرائض أولاً، ويستكملها بالنوافل.
- بناء التقوى في قلبه، وتوجيه الورع لسلوكه؛ فيتحرى الحلال الطيب في كسبه وتعامله ومعاشه، ويدع الشبهات تورعاً.
- عدم تساهله في تعريض نفسه لمواطن الشبهات والفتن.
- حرصه على تميز شخصيته الإسلامية، فلا يتأثر بالأجواء العامة، وما عليه الكثرة من الشباب من التساهل والإسراف وميوعة الهوية، وهشاشة أثر الدين في نفوسهم، بل لديه من الصلابة في الدين، والاعتزاز بالهوية، والصلة القوية بالله ما يجعله ثابتاً أمام المغريات والمثبطات.
- ... ومن هنا وجب أن يتحقق التوازن بين المنهجين (الجماعي والفردي)، فالمربّي عليه أن يدرك دور التربية الجماعية بأنها البيئة المعينة على التربية، فلا يركن إليها في جميع أساليبه التربوية، بل يكون للتربية الفردية والذاتية نصيب يتنامى مع ارتقاء الفرد وتقدمه.

سادساً - الأداء التربوي: إدارة أم بناء....؟:

يفهم بعض المربين أن التربية هي نجاحه في إدارة أنشطته التربوية، ويجعل معايير النجاح التربوي له هي:

١ - مستوى الإنجاز في تنفيذ تلك الأنشطة....

٢ - ومستوى إدارتها....

٣ - ومستوى الحضور....

٤ - وغيرها من المعايير والمؤشرات الإدارية... وإن كان ذلك معتبر في مجمل تقييم الأداء التربوي للمربي، ولكنه - بلا شك - أحد المحاور، وليس الأساس في تقييم نجاح التربية، والمشكلة التي تنجم عن هذا الفهم وتلك الممارسة للتقييم التربوي، تكمن في الغفلة عن جوهر التربية وغايتها الأساسية، وهي: **بناء الفرد بناءً متكاملاً يحقّق فيه «الربّانية» التي هي غاية التربية ومبتغاها**... كما أنّه يصرفه عن التقييم الحقيقي لنجاح التربية، وهو: **مدى تحقق صفات الربانيين في ذلك الفرد**.... وهذا الإشكال يفسر لنا الشكوى المتكررة هذه الأيام من ضعف جودة المخرجات التربوية...على الرغم من أن مستوى الأداء والإدارة للأنشطة التربوية... ومستوى تنوعها...وتوفر الإمكانات المتنوعة لتنفيذها أفضل مما كان سابقاً.

إن التربية هي عملية بناء للنفس البشرية، وتغيير حقيقي في إيمانها، وسلوكها، وفكرها، وعطائها...

أما الإدارة فهي للأدوات والإمكانات التي من خلالها تتوفر بيئة مناسبة لإحداث ذلك البناء والتغيير، وهي - قَطْعَاً - ليست التربية والبناء المطلوب.

*** ومما ينبغي تأكيده أن تربية المربي لنفسه قاعدة في تربيته لأفراده:**

فينبغي أن يزداد اجتهادنا في تربية أنفسنا، وإذا أردنا للأفراد أن يزدادوا قرباً من الله تعالى فلنبادر نحن لذلك، فالنفس حين تنصح بأمر هي عاملة به يكون تأثير النصيحة أعظم، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]، ولا يعني ذلك أن يتوقف المربّي عن التربية لو قصّر في أمر ما، بل عليه أن يستمر مع تداركه لتقصيره.

*** تطبيق قاعدة: مراعاة الأولويات وتفاوت القابليات:**

فلا يبدأ المربي بالأقل أهمية، ولا تتم المحاسبة على النوافل قبل الفرائض، كما عليه أن يراعي تفاوت النفسيات والقابليات بين الأفراد، فلا يعاملهم كقوالب بشرية جامدة، بل يعطي كلاً حسب حاجته....

وقد تجد بعض المربين يبالغ كثيراً في متابعة الفرد، ومحاسبته لو أخّل بأدب من الآداب التنظيمية والإدارية، وكأنه قد ارتكب كبيرة من الكبائر، ولكنه لا يعطي الاهتمام نفسه لو أخّل الفرد بصلاة الجماعة، أو أسرف على نفسه بما لا يليق بالدعاة فعله، وهذا خلل في إدراك الأولويات التربوية، والتعامل وفقاً لها.

سابعاً - تطبيق معايير الارتقاء التربوي:

أشرنا إلى أن التربية هي عملية بناء تتم لغرس عقيدة، وترسيخ قيم، وبناء شخصية إسلامية متوازنة، وفق أهداف تربوية، وحسب معايير سلوكية، يقاس بها تحقيق تلك الأهداف، ومستوى نجاح تلك التربية، ومدى تقدم الفرد وارتقاءه،

قال ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وتقوىً كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجلّ بسبب تفاضلهم في الإيمان والتقوى»[1].

ومن هنا فإن الارتقاء التربوي هو ثمرة ونتيجة لتحقيق خصال الإيمان والتقوى، والجوانب التربوية الأخرى في البناء الحركي والفكري

---

(١) (الفتاوى ١١/ ١٧٥).

والتنظيمي لدى الأفراد، وتشّكل عملية التقييم التربوي للفرد تمحيصاً للتأكد من تحقيق تلك المعايير، وترسيخ الجوانب والمواصفات المطلوبة، وبلوغ الأهداف التربوية المنشودة...؛ ليسلك الداعية سبيله بعد ذلك في تولي المهام الدعوية والقيادة الحركية.....لذلك فإن التقييم هو تزكية وشهادة ينبغي أن يتحرى في أدائها الجهد المطلوب والأمانة والمسؤولية، درءاً أن يتولى غير الأمناء والأكفاء زمام التوجيه والقيادة مستقبلاً...

وتكمن خطورة التراخي في هذا التقييم أن الثغرات التي تحدث ستكون متراكمة ومتوالية التأثير، فالضعيف يزّكي - من بعده - الضعفاء، ويبدأ عندها جدار الصلابة الدعوية بالتشقق والتصدع، وتتوالى مواطن الخلل والقصور في مسارات الحركة، والإخفاقات في تحقيق أهدافها وغاياتها... وعندها تتناقص الخيرية والربّانية في بنائها... مما ينزع البركة في أعمالها، ويضعف مستجلبات التوفيق الرباني، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾... الآية. [الأعراف: ٩٦].

* رأى عمر بن عبد العزيز من رجل صلاة حسنة، والتزاماً بصلاة الجماعة... ففكّر أن يوليه ويستعمله، ثم رأى أن يتحقّق من إخلاصه وصلاحه... فأرسل إليه أحد جلسائه ليخبره بأنّه سيسعى له عند أمير المؤمنين ليستعمله في ولاية، وينظر ماذا يقول له... فذهب إليه الرجل

وقال له ما أوصاه عمر، ففرح ذلك الرجل فرحاً شديداً، وتشّوفت نفسه للولاية، وزاد على ذلك وقال له: إن ولّاني أمير المؤمنين فسأعطيك عطائي لمدة عام... وعاد الجليس لعمر فأخبره بما قال الرجل، فقال عمر: لا نوّليه...لقد غُرِرْنا بصلاته..

ثامناً – الضعف التربوي: قدرٌ محتوم.... أم مشكلة لها حل.!؟

ينظر بعض الدعاة من الأجيال الأولى للدعوة إلى الواقع التربوي لعموم الدعاة اليوم، فيردد مقولةً مفادها «**إنّ هذا الضعف التربوي هو واقع لا مفر منه، وضريبة للانفتاح لابدّ أن تدفعها الحركة الإسلامية**». وهذه المقولة تقتضي التعليق والاستدراك عليها، بعد أن نستعرض هذا الموقف:

يقول الصحابي الجليل حنظلة الأسيدي: لقيني أبو بكر وقال: «كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله، ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله (ﷺ) يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا – لاعبنا وخالطنا – الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً! فقال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. قال حنظلة: فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله (ﷺ)، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال: وما ذاك؟ قلت: يا رسول

الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً. فقال رسول الله (ﷺ): «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة – وكررها ثلاثاً»[1].

* ونشير هنا لبعض الفوائد المستنبطة من الحديث:

١ - من المعلوم أن الإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، فالإيمان، الذي هو وقود الصحة التربوية، يجدّد الحيوية والهمة والعزم لدى الداعية، ويرقق القلب والطبع للانتفاع بالذكرى والموعظة، وحالة الغفلة التي أشار لها الموقف السابق، والتي هي من الطبيعة البشرية ومقتضى المعايشة الحياتية، ينبغي ألا يتجاوز أثرها إخراج الداعية عن حالة الإشراق الروحي، والسمو الإيماني إلى مزاولة النشاط البشري، والتنعم بالطيبات مستصحباً التوازن النفسي المنضبط بالتقوى والاستقامة، دون تردٍ في مستنقع المعاصي والخطايا، بل لو وقع بها المرء فإن وقوده الإيماني سيجّره إلى محراب الإنابة والتوبة قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا

(١) رواه مسلم في صحيحه.

صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ... ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وكما قال المصطفى ﷺ: «**كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون**» (رواه الترمذي والحاكم وابن ماجه).

٢ - إن ترسيخ صفة «**التوّاب**» لدى الدعاة، وبناء «**الحساسية الإيمانية**» في قلوبهم تجاه الخطايا، كما كانت في قلب حنظلة وسائر الصحابة الكرام، وتـجذير الإيمـان «**باليوم الآخر**» ومعايشة أحواله وأهواله في استذكار دائم ومنهجي، هي وسائل هامة ولازمة للوقاية من استفحال الضعف التربوي، وشيوع أثره، وانحرافه بالدعاة عن سبيل المؤمنين.

٣ - شيوع مفاهيم «**التناصح**» و«**المصارحة**» بين الدعاة، تساهم بفاعلية لعلاج آثار الفتور والضعف لدى بعضهم، فإن الحواجز والشعور بالتكلف في التعامل الأخوي، وغلبة التعامل الإداري والمؤسسي بينهم، يشكّل حاجزاً بينهم في أداء واجب التناصح، وتطبيق مفهوم «**تعال نؤمن بربنا ساعة**»، ويجعل الفاتر يقع فريسة سهلة لتلبيس الشيطان ونزغاته لانعزاله وابتعاده.

٤ - مبادرة المربّي لعلاج حالة الفتور الإيماني قبل استفحاله، وتصحيح المفاهيم لدى الواقع فيه حتى لا يقع فريسة التصورات والأوهام الخادعة، من الوسائل الحكيمة والناجعة لعلاج الفتور الإيماني.

*** ونستعرض هنا الاستدراكات على الواقع تجاه قضية الضعف التربوي:**

١ - إن إطلاق الحكم العام على واقع الدعاة بالضعف التربوي، والهزال الروحي، والفتور الإيماني ينبغي ألا يؤخذ كحكم مطلق، إذ إن صاحب هذه المقولة إنما يقارن الواقع الحالي بما كان سابقاً في مرحلة البناء والتأسيس التي تفرغ الدعاة خلالها لتربية أنفسهم تربية عميقة، وربما أراد صاحب المقولة أن يحاكي تلك الأيام بوسائلها وأجوائها وطبيعتها، وهذا مما لا ينبغي أن يصدر الحكم بناء عليه، فلكل مرحلة طبيعتها وأوضاعها ووسائلها ورجالها.

٢ - ينبغي أن لا نُغْفِل الجوانب الإيجابية في الواقع التربوي هذه الأيام.... كالجهود المبذولة في حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية والتثقيف الشرعي، فالتقييم التربوي الحكيم هو الراصد للإيجابيات، ولا يقتصر فقط على السلبيات، فالإيجابيات ينبغي أن تدعم وترسخ، كما أنّ السلبيات ينبغي أن تعالج.

٣ - التعامل مع الضعف التربوي كقدر محتوم فيه مغالطة للدور التربوي المطلوب للحركة، وسوء فهم للسنن الربانية المتعلقة ببناء النفوس والتغيير الإيجابي... فسّنة «**التدافع**»... وفريضة «**التناصح والتواصي بالحَقّ والصبر**»... وسّنة «**التغيير**» في حال البشر... و«**أصالةُ المنابع التربوية وحيويتها**»، توجب أن يتم التعامل مع هذه المشكلة بحجمها الحقيقي، وأسبابها الواقعية، وبروح متفائلة بالتغيير والإصلاح والارتقاء الإيماني المنشود، وذلك ببذل الأسباب المعينة، والوسائل الفاعلة، والتذكير الإيماني المتجدد، والموعظة البليغة، والعيش الجماعي، والمنهج التربوي الحكيم الذي يرسخ الإيمان ويحيي القلوب.

٤ - من تمام الإحساس بالمسؤولية والتقييم الموضوعي للمشكلة أن يكون الأداء التربوي للمربين أحد أسبابها، وأن يكون تحسينه وجودته أحد أهم وسائل العلاج.

تاسعاً - التربية مرحلة... أم متطلب لازم لكل مرحلة؟:

يشتط الحماس بمؤيدي الانفتاح حيناً، فينادون بأن تحشد الحركة الإسلامية كل طاقاتها وجّل اهتماماتها للعمل العام، دون أن يثقّل اندفاعها تكاليف التربية ومتطلبات التكوين... ويدفعهم لهذا الحماس أنهم فهموا أن التربية مرحلة كانت ومضت بعد أن حققت أغراضها،

وليست متطلباً لازماً لكل المراحل... كما يزيدهم حماساً ومطالبة مبالغة بعض التربويين في استرجاع الأنماط التربوية السابقة بتركيزها وألوانها وطرقها وخصوصيتها، ودعوتهم لمحاكاتها، وتحذيراتهم المتكررة من الانفلات التربوي المتوقع لمرحلة الانفتاح، مما يجعل التوسع العددي للعناصر والمؤيدين بطيئاً لا يتناسب مع مقتضيات الانفتاح والعمل العام.

* إن استمرار التربية ودعم وجودها كمنهج... ومؤسسة... وقيادة، من لوازم النجاح والنماء للحركة الإسلامية، لأنها تحفظ استمرار الخيرية والربانية في الحركة، وتستجلب التوفيق الربّاني، وتساهم في التوريث القيادي للفكرة والمنهج، وتحفظ شرعية الحركة وإسلاميتها... وهذه المصالح المرتجاة عوامل هامة لنمو الحركة ونجاحاتها في العمل العام ومرحلة الانفتاح... ومما ينبغي ألا يغيب عن دعاة الانفتاح أن من أسرار القبول الجماهيري والتأييد الاجتماعي والسياسي هو مصداقية الحركة، ونشاطها الإصلاحي والخيري والتربوي الذي يعزّز الثقة بها، والتأييد لمواقفها، والقبول لقيادتها، كما يعزّز الاحتياج لدورها الاجتماعي وخدماتها الإصلاحية والتربوية للمجتمع، الأمر الذي يتلمسه المجتمع ويعايشه، وهذه الأدوار لا

يمكن تحقيقها إلا بمؤسسات تربوية تضمن للتربية استمرارها وتأثيرها.

* كما تبرز الحاجة لتدعيم الممارسة التربوية لدى العاملين في المجالات السياسية والنقابية، التي تستنزف جهودهم وأوقاتهم، فلا تتوفر لهم الأجواء التربوية والمواعظ الإيمانية والأجواء الأخوية التي تحفظ لهم ذخيرة إيمانهم، وتحقق التوازن المنشود الذي يضبط مسيرتهم ويحفظهم من الزلل، ولأجل هذا فإن المسؤولية تقع على كاهل القائمين بالعمل لإعداد الآليات والبرامج الفردية والجماعية المناسبة التي ترسخ العطاء التربوي، وتدعم جهود العاملين في تلك المجالات.

الفصل الثالث:

استدراكات حول الالتزام التنظيمي

الالتزام التنظيمي: هو الترجمة العملية للانتماء للحركة الإسلامية، إذ هو صيغة تعاقدية بين الداعية والحركة، ارتضاها لتكون برهاناً عملياً لإيمانه بمبادئ الحركة ورسالتها ونهجها في العمل الجماعي المنظم... ومعلوم أن جوهر العمل الجماعي وأساس وجوده وفاعليته ومصداقيته: هو الالتزام الذي يربط بين قيادته وقواعده...

ويضبط قراراته وخططه...

ويحكم سياساته وأنشطته...

وينظم علاقاته الداخلية والخارجية...

ويحقق له صفة "الجسد الواحد" الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى...

ويجعله" كالبنيان المرصوص" يشّد بعضه بعضاً...

وقد جاءت الإشارة لهذا المفهوم في كتاب الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ

يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢].

- وتتّجلى حقيقة الالتزام في مفهوم «الطاعة» الذي يجسّد تخلّي الفرد لجزء من ذاته وشخصانيته من أجل الجماعة، إذ المرء عندها بمقتضى قبوله بأن يكون فردًا في جماعة فإن عضويته تعني استجابته القرار الجماعي، والذي لن يكون دوماً حسب رأيه وهواه، ولا يقبل امرؤ ذلك إلا بقدرٍ عالٍ من الإيمان برسالة تلك الجماعة وثقة بغايتها ومنهجها، والإسلام يربيّ المسلم على تلك الطاعة في أي تجمع له مع إخوانه المسلمين لتحقيق مصلحة مشروعة، فكان التأكيد على ذلك المفهوم في أبسط صور التجمع وهو السفر، حيث أوضح النبي ﷺ وجوب التأمير لمن كانوا على سفر، ولو بأقّل عدد لجماعة، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**»(١).

- والتأمير في جماعة السفر هو لوجوب الطاعة للأمير، والتزام أعضائها بقراراته، أو بما يتفقون عليه إذا تشاوروا، بل أرشد ﷺ لما

---

(١) رواه الترمذي.

هو أقل من ذلك، حين قدم عليه اثنان من صحابته فناداهما عليه الصلاة والسلام: «**ألا هل أمّرتما ؟**» فأجاباه: «نعم»، فقال ﷺ: «**ألا قد رشدتما**» أي إن فعلكما في تأمير أحدكما على الآخر هو عمل رشيد وحكيم، وفي ذلك دلالة على عناية هذا الدين بتنظيم العمل الجماعي، وتأصيل قواعده، وعوامل نجاحه التي من أوجبها الالتزام والطاعة.

- ولهذا كانت الطاعة لقيادة العمل الإسلامي ركناً من أركان التعاقد والتعاهد بين الفرد والحركة، وعرّفها الإمام حسن البنا رحمه الله بقوله: «**وأريد بالطاعة امتثال الأمر وإنفاذه توًّا في العسر واليسر، والمنشط والمكره**»[1]... ومن هنا كانت الطاعة تمثِّل سياجًا واقيًا للجماعة، مانعًا للتفتت والتفرق، وكم من الأمور لو تُركَت لهوى النفس وتقدير الأفراد ما تم إنجازها، ولكنها في إطار الحب والثقة والطاعة المبصرة يتم إنفاذها ويكون لها عظيم الأثر[2].

- **ميثاق الالتزام التنظيمي**: لقد وضع الصحابيّ الجليل سعد بن معاذ في خطبته المباركة التي ألقاها بين يدي المصطفى ﷺ قبيل معركة

---

(١) رسالة التعاليم، للإمام حسن البنا.

(٢) موقع إخوان أون لاين.

بدر الكبرى قواعد الالتزام التنظيمي، بما يمكن أن نطلق عليه «ميثاق الالتزام التنظيمي» وذلك حين قال: «**والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال: أجل. قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسّر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك. ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**»[1].

ويمكننا أن نسطر قواعد ذلك الميثاق بما استنبطناه من تلك الخطبة الرائعة بما يلي:

١ - المبادرة: وذلك بقوله:

«**لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟**»: فالمبادرة عنوان الحيوية، ودليل عمق الانتماء وفاعلية الالتزام، وهذه إشارة هامّة لكي لا يفهم أحد أن

---

(١) سيرة ابن هشام، ج ١.

الالتزام هو تكبيل وتقييد للفرد وقتل لروح المبادرة والقيادة لديه....فالمبادرة دليل على الشعور العالي بالمسؤولية، والتحّسس المرهف لتوجهات الحركة وسياساتها..... والحركة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى تعزيز روح المبادرة لدى أفرادها....وعلى من أساء الفهم لمفهوم القيادة والمسؤولية، فتصّورها ممارسة لسلطة الأوامر فقط، ومنع المبادرة من الأفراد، بحجة أنّ هذا ليس دورهم بل عليهم تلقي الأوامر للتنفيذ، أن يستدرك خطأه هذا الذي كلّف الحركة طاقات أهدرت... وقدرات بشرية تسربت... وطموحات مشروعة أجهضت.

٢ - **الإيمان بالرسالة، والتصديق بربانيتها قاعدة الالتزام ووقوده:** وذلك حين قال: «**قد آمنا بك وصدقناك**»... فذلك هو الدافع الأقوى ليتجرد الفرد من أهوائه ويستعلي على رغباته وذاته؛ ليكون جندياً في الحركة الإسلامية، ويتحمل في سبيل غايته السامية الصبر والثبات وتجريد النفس من بعض حظوظها.

٣ - **الثقة بالمنهج:** وذلك في قوله: «**وشهدنا أن ما جئت به هو الحق**»... والثقة هي اطمئنان القلب، وسكون النفس، وانشراح الصدر لسلامة المنهج ومصداقية القيادة، مما يثمر الانتماء العميق، والولاء الصادق، والتضحية الكريمة، والالتزام المنضبط.

٤ - **التعاهد والتعاقد:** وذلك بقوله: «**وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا**»... والالتزام لا يكون واقعاً وفاعلاً وملزماً إلا بالتعاهد والتعاقد بين الدعاة ، والمتأمّل لأول جهد جماعي منظّم في تاريخ الإسلام، وهو ما تمَّ في بيعة العقبة، حين التقى النبي ﷺ بالأنصار الذين آمنوا بدينه، وصدقوا برسالته، يجد أن أول تنظيم لتلك النصرة - التي تشرفوا بعد ذلك بالتسمي بها فكانوا هم «الأنصار» - هي «البيعة» التي وثّقت ذلك التعاهد على الإيمان والنصرة... بل إن البيعة الأولى التي تمت قبل تلك بعام، وسميت بيعة الإسلام كانت «بيعة» وتعاهداً، تأكيداً على مشروعية ذلك التعاهد والتبايع بين أفراد الحركة الإسلامية وقيادتها.

٥ - **السمع والطاعة:** وذلك في قوله: «**على السمع والطاعة**»... والطاعة هي جوهر الالتزام التنظيمي وأساسه، إذ لا يتحقق الالتزام ما لم يفهم الفرد حقيقة مفهوم «السمع والطاعة» ويوطّنَ نفسه عليه، وبأنها طاعة لله ولرسوله ﷺ لقوله ﷺ: « **من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني**» (متفق عليه). والسمع مقدم على الطاعة، لأنّه لا طاعة واعية إلا بسمع وفهم ووعي، ولا يتمكن من تحقيق السمع والطاعة إلا

من ملك زمام نفسه... وتواضع لدعوة الله... وأدرك بفهم دقيق غايتها السامية ومنهجها الرشيد... وارتضى أن يكون جنديا فاعلاً لتحقيق غايتها ورسالتها... متجرداً من الأهواء الشخصية والنزعات الذاتية والكبرياء.

٦ - **الالتزام بتحقيق الغاية**: وذلك في قوله: «**فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك**»... فبلوغ الغاية ليست مسؤولية القيادة فقط، بل هي مسؤولية كل فرد انضوى تحت لواء الحركة الإسلامية، تتوزع الأدوار وتتفاوت الوظائف ولكن المسؤولية مشتركة بين الجميع، وهذا المعنى يخفى على بعض الدعاة ممن أقنع نفسه بدور هامشي وأداء متواضع بحجة أن المسؤولية هي للقيادة، وهذا يتناقض مع المفهوم الإيماني والشرعي للمسؤولية، قال جل وعلا: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، فلا تتحقق الغايات الكبيرة إلا بالتزام الجميع بالعمل لتحقيقها.

٧ - **الانضباط**: وذلك في قوله: «**لا يتخلف منا رجل واحد**»... فالانضباط والالتزام، والتمسك بالمهام والمسؤوليات، وعدم التخلف عن أدائها، هو إيذان بقوة بناء الحركة، ومظنة بلوغ غاياتها، وتحقيق

إنجازاتها وأهدافها، إذ الجميع على قلب رجل واحد، قرارهم واحد... ووجهتهم واحدة... وأهدافهم واحدة... فيتحقق لهم بتلك الوحدة محبة الله وتوفيقه، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، قال ابن سعد: بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في ثلاثين راكباً إلى عجز هوزان بتربة – وهي على أربع ليال من مكة – فخرج ومعه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل، ويكمن النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر محالَهم فلم يلق منهم أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة، وكان ذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة. ومما تجدر الإشارة إليه في هذه السرية أن عمر لما وصل الجدر – وهو عائد، قال له دليله الهلالي: **هل لك في جمع آخر تركته من خثعم جاؤوا سائرين قد أجدبت بلادهم ؟ فقال عمر: لم يأمرني رسول الله ﷺ بهم، إنما أمرني أن أصمد لقتال هوازن بتربة.** (المغازي للواقدي). ولا يعني هذا الفهم والسلوك الجمود في الالتزام، وحرفية الطاعة في العمل الإسلامي اليوم، بقدر ما هو إدراك حكيم لطبيعة الأمر، وما هو الذي في دائرة الاجتهاد من عدمه، وفهم للظروف المحيطة وحساسية التكليف، فضلاً عن أن الشاهد يتميز بأن التكليف كان من النبي ﷺ، الأمر الذي يقتضي حرفية الطاعة ودقة الالتزام.

٨ - **الصبر**: وذلك في قوله: «**إنا لصُبُر في الحرب**»... والصبر هو زاد الداعية لبلوغ غايته.... صبر على الطاعات... وصبر على متطلبات المنهج وتكاليف الطريق... وصبر على مواجهة التحديات والعوائق... وصبر على نزعات النفس ونزغات الهوى... وصبر على مواجهة المجتمع لتحقيق الإصلاح فيه... وصبر على الحاقدين والمتربصين والمرجفين والمتخاذلين... «**والصبر ضياء**» كما أخبر المصطفى ﷺ (رواه مسلم والترمذي)، يضيء للمرء سبيل هدايته وصراط استقامته، ووقود الصبر هو الاستعانة بالله تعالى واحتساب الأجر منه، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧].

٩ - **الصدق**: وذلك في قوله: «**صُدُق عند اللقاء**»... نصدق بما عاهدنا الله عليه لا نتخاذل... ولا نتراجع... ولا نتردد... ولا ننهزم، بل نصدقك في الثبات والجهاد والبذل والعطاء.... وتلك هي دلائل الصدق مع الله تعالى كما أخبر جل وعلا عن الصادقين بقوله: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ... لم يبّدلوا في معتقدهم وإيمانهم... ولم يبّدلوا في مبادئهم وثوابتهم... ولم يبّدلوا في التزامهم وتضحياتهم... ولم يبّدلوا في أهدافهم وغايتهم، ومن يصدق مع الله فسيصدقه الله.

تلك هي قواعد ميثاق الالتزام التنظيمي كما رسمها سعد بن معاذ رضي الله عنه، فكم هي متحققة في واقع الدعاة اليوم.....؟

* ونستعرض فيما يلي أنماطاً من الفهم والتطبيق لمفهوم الالتزام التنظيمي، تستدعي الاستدراك عليها، والإرشاد لما ينبغي أن تكون عليه؛ ليتحقق المفهوم بالصورة المطلوبة ويحقق الأغراض المنشودة.

أولاً - الالتزام التنظيمي والفاعلية الدعوية:

الفاعلية والحيوية والتجديد هي قوة التأثير والإنجاز... واستدامة التطور والنماء... بأقل الجهود والتكاليف والأوقات، ومن الواجب أن تتحقق تلك السمات في الحركة الإسلامية اليوم؛ لضخامة التحديات التي تواجهها وسمو الغايات التي ترجوها، ولن تتحقق تلك السمات والخصائص إلا إذا تحققت في أفرادها وقيادتها. قد يظن البعض - لقصور الفهم لديه - أن الالتزام التنظيمي هو تعطيل لقدرات الفرد، وتجميد لطاقاته، ومصادرة لعقله وتفكيره؛ لأنه يؤمر فينفذ ويكلف فيطيع، وأنّ حق التفكير والتجديد هو للقيادة فقط... وهذا يتناقض مع حقيقة الدعوة ومفهومها والمسؤولية، وقواعد الالتزام كما أشرنا سلفاً.

فما هي الفاعلية الدعوية....؟

هي في جوهرها عملية استباق للخيرات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

(والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها مع كل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، ولّما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير وينشطها ما رتب الله عليها من الثواب، قال: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير) (١).

* الفاعلية الدعوية تتمثل في سريان روح العطاء المتجدد... والأداء المثمر... والإنجاز الموجه للأهداف المرتجاة... لدى الدعاة مع مرور الزمن وتغّير المواقع الدعوية، إذ الملاحظ أن تلك الفاعلية تتناقص لدى البعض مع تقادم العمر أو تغير الموقع، فيصبح العطاء

---

(١) تيسير الكريم المنان.للسعدي.

رتيباً، ويكون الأداء إبرءًا للذمة، ويترتب على ذلك ألّا يتحقق إنجاز، وإن تحقق فهو لغير الأهداف المرتجاة، وهذه مشكلة خطيرة تظهر خطورتها مع مرور الزمن، أن تصبح الجهود المبذولة هدراً للأوقات والإمكانات، كما حدثني أحد الإخوة، يقول: «لدينا نشاط إفطار جماعي أسبوعي يعقبه نشاط الديوانية، ومن المفترض أن يحقق الأول أهدافاً دعوية وتربوية في حث الناس على صيام النافلة، والاجتماع على طاعة الله، وتكون فرصة للاستماع إلى مواعظ إيمانية وفوائد تربوية، وأن تحقق الديوانية أهدافاً دعوية واجتماعية باستقطاب أكبر عدد من الناس ودعوتهم للديوانية... ولكن الحاصل والمشهد الذي يتكرر أسبوعيا دون استدراك من القائم على النشاط أو معالجة للوضع - أننا نفطر خمسة أشخاص، معنا مؤذن المسجد، واثنان من كبار السن، ثم ننتقل نحن الخمسة فقط إلى الديوانية بعد العشاء...! فهل هذا يمكن أن يصّنف على أنه نشاط فاعل وناجح....؟!"

* تواجه بعض المبادرات والمشاريع الدعوية تردداً من بعض القائمين على مؤسسات ومجاميع دعوية، حيث تثار المخاوف من الفشل، والبعض يرى أن مسؤوليته هي في الحفاظ على من معه من الأفراد، وإحاطتهم بالروح الأبوية المشفقة عليهم، وعدم إشغالهم

بمبادرات لا يعرف مصيرها، والبعض يتعذّر بكبر السن، وعدم قدرة أفراده على خوض غمار تلك المبادرات الجديدة، وغيرها من المبررات التي تضع التخوفات قبل الآمال، والسلبيات قبل الإيجابيات، وما علم أولئك - هداهم الله - أن خوض التحديات. ومواجهة الصعوبات، وطرح المبادرات، أمر لازم لتحقيق الطموحات وإنجاز الأهداف...؟ أما علموا أن حالة الضعف والفتور التي يشكون منها إنما هي بسبب تلك الأعذار، وهذا النمط من التفكير السلبي تجاه المبادرات...؟ هل تساءلوا بموضوعية عن حقيقة الفشل الذي يتخوفون منه..؟! أما أدركوا أن إشغالهم للأفراد بحضور الأنشطة فقط والاحتضان الداخلي قد تسبب بفقدهم للفاعلية الدعوية، بل وبتفشي البطالة وفقدان الهوية والرؤية...؟ وإن أرادوا التأكد من ذلك فعليهم أن يسألوا أنفسهم وأفرادهم: ما هي الإنجازات الدعوية الملموسة التي تحققت على أيديهم في واقع المجتمع...؟ وكم من أولئك الأفراد من يصلح لأن يتقدم كرمز دعوي يخاطب الناس...؟ ثم ليسألوا الأفراد: هل هم راضون عن واقعهم الدعوي ودورهم...؟

* إن من يدرك حقيقة الدعوة، ويفهم طبيعة الحركة وغايتها، ويعي سمو رسالتها، يعلم أن مواجهة التحديات، وتخطي الصعوبات،

وطرح المبادرات سمة أصيلة من سماتها، ومتطلب هام من متطلبات نجاحها، وصدق الشاعر إذ يقول:

بقـــدر الكـــدّ تكتـــسب المعـــالي
ومـــن طلـــب العـــلا ســـهر الليـــالي
يغـــوص البحـــر مـــن طلـــب الـــلآلي
ويحظـــى بالـــسيادة والنـــوال
ومـــن طلـــب العـــلا مـــن غـــير كـــدّ
أضـــاع العمـــر في طلـــب المحـــال

التجديد صفة من صفات الدين ومن لوازم التدين:

لقد أشار حديث المصطفى ﷺ «**إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**»[1] إلى أن التجديد سنة ربانية، وخِصِّيصَة من خصائص الرسالة الإسلامية... والتجديد - كما أوضح المفسرون للحديث - هو تجديد أثر الدين في النفوس، وإحياؤه، وتفعيله في واقع الأفراد والمجتمعات كمنهج للحياة (فالتجديد المشروع هو إعادة الدين إلى النحو الذي كان عليه زمن النبي ﷺ، وإعادة الناس إليه على النحو الذي مضى عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة، فينفي عنه

(١) رواه أبو داود.

تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وغلو المتنطعين، وتفلت الفاسقين، ويعود الناس إليه بالقبول والتلقي، والانقياد والتسليم، والتصديق والاتباع، والتوقير والتقديم والفهم والالتزام والتطبيق)[1].

وفي قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة» أن هذا المبعوث لم يعد همه نفسه فقط، بل تجاوز ذلك ليعيش لهذه الأمة، فهو صاحب عزيمة وهِمّة، يعيش هموم أمته، ويبذل قصارى جهده مواصلاً عمل النهار بالليل...، لينقذ هذه الأمة من وهدتها..... ويعيد لها ثقتها بدينها..... ويردها إلى المنهج الصحيح، مصابراً على ما يعترض سبيله من عقبات ومغالباً كل المشقات والتحديات؛ ليصل إلى رفعة هذه الأمة وعودة مجدها[2].

*** وترجع عوامل التجديد والحيوية في الإسلام:**

لشموليته... وربانيته... ومثاليته... وواقعيته... ومرونته.

وإذا كان التجديد من خصائص الرسالة... فإن التجديد والحيوية من لوازم الدعوات الفاعلة، ومن سمات الدعاة المؤثرين. ويرجع ذلك للمحفزات التالية:

---

(١) تجديد الخطاب الديني ص ١٣ – محمد الشريف.

(٢) الدولة الأموية ص ١٦٧ – د. علي الصلابي.

محفزات الفاعلية الدعوية:

١) ربانية الدعوة والداعية:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فالدعوة الإسلامية ربانية في مصدرها ومنهجها وغايتها، والداعية ينبغي كذلك أن يكون ربانياً في عقيدته ومنهجه، وفي مقصده وسلوكه، وهذا من أقوى الأسباب الباعثة لحيويته وفاعليته وثباته.

٢) ارتباط العمل الدعوي بالميزان الأخروي:

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص: ٦١] ، فيطمئن الداعية أن الله لن يضيّع عمله، ولن يبخسه أجره، فهو جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملاً... وأي أجر أعظم من التنّعم برضوان الله تعالى في جنان الخلد، ونيل المزيد برؤية وجهه الكريم جّل وعلا.. ؟

إن هذا الجزاء الكريم، الذي لا يعادله جزاء، كفيل بأن يحسن الداعية في أدائه الدعوي، وأن يكون حيوياً في عطائه... مجدّداً في

نشاطه... ممتثلاً قول الله جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] . **قال جماعة المفسرين: «يعني الموت لأنه موقن به». قال الزجاج: المعنى: اعبد ربك أبداً؛ لأنه لو قيل: اعبد ربك بغير توقيت لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فإذا قال: حتى يأتيك اليقين، فقد أمره بالإقامة على العبادة أبداً ما دام حياً»**[1]. يقول الحسن البصري تعليقاً على الآية: «**لم يجعل الله لعمل المؤمن غاية دون الموت**».

٣) وعد الله تعالى بالنصر والتوفيق والتمكين لمن أطاعه:

قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] ... فإيمان الداعية أنه موفق ومنصور، طالما صدقت نيته وصلح منهجه، كفيل بإعطائه مدداً لتجديد حيويَّته.. ووقوداً لبذل طاقته... ودافعاً يحركه لنصرة دعوته، بروح مملوءة أملاً وثقة بتوفيق الله تعالى له... مستشعراً قول الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]... يُرْوَىٰ أن طارق بن زياد - وهو مع جنده في السفن المتوجهة لفتح الأندلس - رأى النبي ﷺ في المنام يبّشره النصر، ويؤمّله الفتح.... فقد ذكر ابن الأثير: (**أن طارقاً لما ركب البحر غلبته عينه فرأى النبي ﷺ - في نومه - ومعه المهاجرون والأنصار قد تقلدوا**

---

(١) فتح القدير.

السيوف وتنكبوا القسي، فقال له النبي ﷺ: (يا طارق تقدم لشأنك)، وأمره بالرفق بالمسلمين، والوفاء بالعهد، فنظر طارق فرأى النبي ﷺ، وأصحابه قد دخلوا الأندلس أمامه، فاستيقظ من نومه مستبشراً، وبشّر أصحابه، وقويت نفسه، ولم يشك في الظفر) (١).

فخطب في الجند صباحاً، وأعلمهم بتلك الرؤيا المباركة.... وكانت باعثاً مؤثراً في إقدام الجند، وثقتهم بالنصر الذي تم بعد ذلك، وكان فاتحة لفتح الأندلس ونشر الإسلام في تلك الربوع.

٤) تنوع مجالات الدعوة وتكاملها:

وفي هذا التنّوع يقول الحق جل وعلا : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢]... فهذا التنوع في مجالات العبادة والعطاء، يفتح آفاقاً للدعوة الإسلامية؛ لتوظيف كل جهد وتخصّص، واستثمار كل عطاء وموهبة....مما يبعث أجواء الحيوية والفاعلية في أوساط الدعاة وبرامج الدعوة وأنشطتها.... وفي هذا المعنى أورد

---

(١) الدولة الأموية ص ٢٤ – د. علي الصلابي.

الحاكم في مستدركه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: (**من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبّي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأتِ معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإني له خازن**)، (قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه) .

٥) تعدد شعب الإيمان:

قال ﷺ : «**الإيمان بضع وستون شعبة**»[١] ... وهذا التعدد في شعب الخير والأعمال الصالحة يضفي على النفوس المؤمنة مجالاً رحباً لتجديد الحيوية الإيمانية... تتجدّد معه الأرواح، وتتفاعل معه القلوب، من عبادات قلبية، وأخرى بدنية، وثالثة مالية، وأخلاق حميدة، وأعمال خيرية، يعبّر عن هذا حديث المصطفى ﷺ : «**سبع يجري للعبد أجرهن من علم علماً، أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له وهو في قبره بعد موته**»[٢]...

فهذا التنوع في شعب الإيمان له أثره – بلا شك – في تجّدد روح

---

(١) رواه البخاري.

(٢) (حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٣٥٩٦).

الداعية.... ونفض غبار الرتابة والملل عن قلبه.... وتجدد انطلاقته بين فينة وأخرى بعطاءات متجددة.

٦) تجدد التحديات وتنوعها وفقاً لسنة «التدافع»:

فالتحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية متعددة ومتنوعة، منها:

تحديات داخلية وخارجية....

و تحديات محلية وإقليمية ودولية.....

و تحديات فكرية وسياسية واجتماعية وحضارية.....

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥١]، والموقف الإيماني أمام تلك التحديات، هو ما وقفه النبي ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم حين أرجف المرجفون برجوع جيش أبي سفيان بعد معركة أحد إلى المدينة للكرة مرة أخرى على المسلمين.... وفي هذا الموقف أثنى الله جل وعلا على المسلمين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ١٧٣ – ١٧٥]. إن من شأن تنوع التحديات التي تواجه الدعوة والدعاة أن تستنفر إمكانات الدعوة وطاقات الدعاة، وتبعث في النفوس المؤمنة إصرارا وإرادة وعزماً على مواجهتها، مما يستثير العقول... ويشد العزائم... ويستخرج المواهب... ويثير القدرات... ويشيع أجواء الحيوية في صفوف الدعاة.

٧) ديمومة الدعوة والانتصار للحق:

قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله**»(١) ، لذا فإن شعور الدعاة باستدامة الدعوة إلى أن يأذن الله تعالى ، وأنها – رغم النكبات والمعوقات والتحديات – ماضية في دربها... ثابتة على منهجها... مستمرة في تمسكها بمبادئها... معتزة برسالتها... يعطي لهم دافعاً متجدداً في الثبات والعطاء، وحافزاً للتجديد والحيوية، حيث يأمل كل داعية منهم أن يكون من تلك الطائفة المنصورة الثابتة على الحق...

وفي قول رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجّدد لها دينها**» (٢) ما يمنح المسلم طاقة الأمل الأكيد، بأن

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

المستقبل للإسلام، مهما تكاثرت قوى الشر، وتعاظم طغيان أهل الباطل... وبأن النور سيسطع مهما أحلولك الليل، واشتد الظلام، ونحن في الوقت الحاضر بحاجة ماسة لتأكيد هذا المعنى، ونشره بين الناس، حتى نقاوم موجات اليأس والقنوط التي عمت النفوس، فجعلتها تستسلم للذّل والخضوع والخنوع، بحجة أننا في آخر الزمان، ولا فائدة ولا رجاء من كل جهود الإصلاح التي تبذل، لأن الإسلام في إدبار والكفر في إقبال، وها قد ظهرت علامات الساعة الصغرى، ونحن في انتظار العلامات الكبرى التي سيعقبها قيام الساعة.) (الدولة الأموية – د. علي الصلابي (عن تجديد الفكر الإسلامي).

٨) لكل مرحلة عمرية واجتماعية عطاؤها:

قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف ١٥]

تشير الآية الكريمة إلى أن بلوغ الأربعين هو بداية انطلاقة جديدة، ومرحلة من العمر لها عطاؤها الخاص بها... لاكما يردد بعض الدعاة أنهم بعد تقدم العمر يحق لهم أن يستريحوا من عناء العمل الإسلامي،

ويتخففوا من مسؤولياته وواجباته... والحق أن لكل فئة عمرية ومرحلة اجتماعية عطاؤها الدعوي الذي يتناسب مع قدراتها وخبراتها وإمكاناتها وعلاقاتها... ومن الحقائق التاريخية التي تعضد ذلك:

- يوسف ابن تاشفين: سجل أعظم انتصاراته وقد بلغ الثمانين.
- الشيخ الشهيد أحمد ياسين رحمه الله: أحيا أمة وهو مقعد.
- عبد الله المطوع رحمه الله: كان رمزاً للعطاء والحيوية إلى آخر أيامه وقد ناهز الثمانين.
- اللاعب أبو تريكة: هزت عبارته التي كتبها على لباسه الرياضي مشاعر الملايين لنصرة غزة في محنة الحصار.

ومن هنا يحق لنا أن نقول لكل داعية:

لا بد من تجديد عطاءك الدعوي في كل مرحلة لتتجاوز الرتابة وضمور العطاء وضعف الفاعلية.

اللاعب أبو تريكة أيقظ الملايين تجاه حصار غزة بهذه الحركة الذكية

العم عبدالله العلي المطوع - يرحمه الله - استمر على عطائه إلى آخر ساعات عمره.

الشيخ أحمد ياسين أيقظ الأمة وهو مقعد...!

ثانياً - الالتزام التنظيمي.. والممارسات النقابية:

- يقرر خبراء التخطيط الاستراتيجي أن منظومة القيم للمنظمة هي أحد أركان التخطيط الاستراتيجي الفاعل، إذ إن القيم تحدد الإطار الأخلاقي والمعنوي الذي يتكامل مع الجهود الإدارية والمهارات الإنسانية والأدوات التخطيطية الأخرى؛ ليحقق التفاعل الإيجابي بينها جميعاً، ويبني منظمة فاعلة وقادرة على تحقيق رؤيتها وأهدافها ورسالتها.

- والحركة الإسلامية هي من أولّى المنظمات التي تشّكل القيم لديها ركناً أساسياً، وقاعدة هامة من قواعد العمل، لأن القيم لديها جزء من عقيدتها، ونتاج لعمق إيمانها بمبادئها، ودليل لصدق منهجها... سواء كان ذلك في الجانب التنظيري المتمثل في أدبياتها، أو في الجانب العملي المتمثل في مواقفها وسلوك أفرادها وقيادتها.

- ويحدث أحياناً تداخل في الفهم لدى بعض الأفراد، نتيجة الولوج في مجالات العمل النقابي والسياسي، فتطغى الممارسات والأساليب على بعض القيم، بحجة أنها تمارس في تلك المجالات لتحقيق المصالح والأهداف الدعوية، وتنعكس تلك الممارسات على حركة البناء الداخلي للحركة... فعلى سبيل المثال يمارس البعض أسلوب

الضغوط الجماعية داخل صفوف الحركة بما يسمى «اللوبي» لتمرير قرار ما، أو يقوم بعض المتطلعين للمناصب التنظيمية أو السياسية أو النقابية بالتحرك لضمان فوزه بقرار الحركة، وينشأ عن ذلك الجيوب والجماعات الداخلية والتحركات، وأحياناً الاتفاقات بين أطراف عدة لتحقيق تلك المصالح، ويتناسى أولئك «القيم» التي تشكل أسس بناء الحركة وصمامات الأمان التنظيمي والحركي لها كقيم:

- «التجرد من الأهواء الشخصية»...
- «إننا لا نولي هذا الأمر من سأله، أو حرص عليه»...
- «النجوى طريق البطالة»...
- «الولاء للحركة وللمبادئ لا للأشخاص»...
- «تحري مصلحة الدعوة عند اتخاذ القرار»...
- «الجيوب طريق التفكك والضعف للحركة»...
- «الإخلاص والصدق مع الله»...
- «التجرد من الأهواء»...
- «النصح الأمين»...

كما أنهم يتناسون أن الحركة الإسلامية ليست «نقابة» يتنافس

أعضاؤها للوصول لقيادتها والتأثير على قراراتها، ولا يعني هذا عدم الأخذ من الوسائل النقابية بما يدعم بناءها المؤسسي، وينظم العلاقات اللائحية بين وحداتها وأعضائها، إنما المذموم هو الولوغ في الممارسات التي تتعارض مع تلك القيم الرفيعة للحركة الإسلامية التي هي أساس وجودها وسرّ قوتها... أخرج الإمام الطبري بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه قال لناس من قريش: «**بلغني أنكم تتخذون مجالس، لا يجلس اثنان معاً حتى يقال: من صحابة فلان ؟ من جلساء فلان ؟ حتى تحوميت المجالس(أي صار لكل مجلس حميته وعصبيته)... وايم الله إن هذا لسريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في ذات بينكم، ولكأنّي بمن يأتي بعدكم يقول: هذا رأي فلان..... قد قسموا الإسلام أقساماً، أفيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معاً؛ فإنه أدوم لألفتكم، وأهيب لكم في الناس**».

في هذا النص المهم نجد إدراكاً مبكراً من أمير المؤمنين عمر لخطر الفرقة في الدين، وهو الداء الذي عانت منه الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل وما زالت كذلك، وإنه لدلالة واضحة على أنه كان ملهماً محدثاً كما أخبر عنه رسول الله ﷺ.

- إن هذا الدين لا يقوم إلا بالجماعة واجتماع الكلمة، وقد يبدأ

التفرق في الدين بأمر يسير لا يقيم له الناس وزنا، ولكنه يتطور حتى يكون سبباً في التفرق والخلاف[1].

- وتاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة يشير وبوضوح:أن الجماعات التي تهاونت في السماح لتلك الممارسات غير الحميدة في صفوفها عانت لاحقاً من ويلات التفرق والتنافس غير المحمود بين قياداتها، واضعين بذلك جراثيم الأمراض الفتاكة من التفرق بين القلوب... والتفكك بين الصفوف... والضعف في الأداء والتأثير، مستجلبين بذلك السنة الربانية التي لا تتبدل ولا تتحول ﴿... وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...﴾ [الأنفال: ٤٦].

- إن دعاوى: «تحقيق المصلحة الدعوية»، و«الدفع باتجاه أفضل الخيارات والقرارات»، و«جواز طلب الولاية لمن يجد في نفسه القدرة، وأن صلاح المقصد يشفع لسوء الوسيلة»، وغيرها من المبررات التي يضعها أولئك النفر، لا تصح في ميزان الحق والعدل، ولا تعادل بأي حال من الأحوال الآثار السلبية المتحققة على مسيرة الحركة الإسلامية، وقوة بنائها الداخلي، وسلامة قراراتها، ومصداقية أفرادها، وصفاء قلوبهم، والتي هي أساس قوتها ونجاحها وقاعدة انطلاقتها.

---

(١) مواقف تربوية ص ١١ – د. عبد العزيز الحميدي.

إن الفتن يراها حين إقبالها الحكماءُ والأتقياءُ... ولكنها حين تدبر بعد أن تدمَّر يراها العامة والدهماء.

- ويوضح هذا الواقع بدقة أكثر، ذلك الحوار الذي دار بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأحد أتباعه، قال الرجل: ما بال المسلمين اختلفوا عليك، ولم يختلفوا على أبي بكر، وعمر ؟ قال علي: لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلي، وأنا اليوم والٍ على مثلك، وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان مدركاً لما يدور في وسط المجتمع حيث قال في رسالته إلى الأمراء: أما بعد، فإن الرعية قد طعنت في الانتشار، ونزعت إلى الشَرَهِ، وأعداها على ذلك ثلاث: دنيا مؤثرة، وأهواء مسرعة، وضغائن محمولة، يوشك أن تنفر فتغيّر.و كان مما قاله رضي الله عنه في إحدى خطبه:

«إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى وإن الآخرة تبقى، ولا تبطر الفانية، ولا تشغلّنكم عن الباقية... واحذروا ومن الله الغير، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم

مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣ – ١٠٤] »[1].

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] . قال رضي الله عنه: «**أمر الله جلّ ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله**»[2].

فحري بكل من يدعي حرصاً على دعوته وتحريا لمصالحها، أن يحافظ على قيمها... ونقاء صفوفها... وإخلاص أفرادها... وقوة تماسكها؛ لأن كل كسب نقابي أو سياسي أو وظيفي يتحقق على أطلال تلك القيم، إنما هو كسب موهوم وسراب سرعان ما يتبدّد.

ثالثاً – الالتزام التنظيمي واستيعاب الآخرين:

تغرس المعايشة المستمرة للدعاة مع بعضهم البعض، ضمن أطرهم التنظيمية الخاصة، أنماطاً نفسية وذهنية تجعل البعض منهم لا يحسن

---

(١) الدولة الأموية – د. علي الصلابي .

(٢) تفسير الطبري.

التواصل والتعامل مع الآخرين، بما يشبه العزلة النفسية – غير المقصودة – لهم، الأمر الذي يشكل عائقاً لهم في القدرة على استيعاب الآخرين ضمن الأنشطة والمشروعات الدعوية... في الوقت الذي تكون الحركة أحوج ما تكون لتوسيع دوائر أعضائها ومؤيديها ومشاركيها في تحقيق المشروع الإسلامي، مما يحرمها من طاقاتٍ إضافية فاعلة... الأمر الذي يشكّل هاجساً ومشكلة ينبغي أن تستدرك وتعالج.

- إذ ينبغي على الحركة، وهي تربي أجيالها الصاعدة أن تستدرك ذلك بغرس مفهوم «الدعوة» بأنها رسالة للآخرين، وأن «الداعية» هو الذي ينقل تلك الرسالة لهم، وأن يتم التركيز على وجوب ممارسة الدعوة الفردية عملياً، وأن المهمة الأساسية للداعية هي أن يستوعب الآخرين، ويشاركهم رسالته ومشروعه، وأن تتواصل جهود التدريب والتأهيل لعموم الدعاة في مهارات التواصل والاستيعاب والعمل الجماعي وكسب القلوب، وأن تكون مؤشرات النجاح للنشاط الدعوي الجماعي منه والفردي ترجمة لمدى الكسب في استيعاب الآخرين ومشاركتهم والتواصل معهم، وأن تعالج مواطن الخلل في تطبيق هذه المفاهيم ولا تترك لتسود بعد ذلك أعراف غير مطلوبة ومفاهيم غير صحيحة.

رابعاً - الالتزام التنظيمي بين الفردية والجماعية:

ينبغي أن يتحقق التكامل بين الفردية والجماعية:

فالدور الفردي: هو أساس التكليف الشرعي، وقاعدة العمل الجماعي.

والعمل الجماعي: هو الإطار الفاعل لتحقيق الأهداف والرؤى.

والعلاقة المثلى بينهما: هي «التكامل بين العطاء الفردي والعمل الجماعي» :

* لا التعارض...

*و لا الانفصالية...

*و لا السلبية...

فكيف يتحقق التكامل بين الدور الفردي والعمل الجماعي ؟؟؟

خرج النبي ﷺ مع نفر من أصحابه في سفر، وأرادوا تجهيز غدائهم، فقال أحدهم: أنا عليّ ذبح الشاة، وقال الآخر:وأنا عليّ سلخها، وقال الآخر: وأنا عليّ طبخها، فقال ﷺ: «وأنا عليّ جمع الحطب»، فقالوا: يا رسول الله، نكفيك العمل، فقال: «علمت أنكم تكفونني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه»[1].

---

(١) شرح الزرقاني ٤: ٢٦٥.

لقد وضع النبي ﷺ قاعدة «التكامل»، التي تمثل العلاقة المثلى بين الدور الفردي والعمل الجماعي، فلا ينبغي أن تذوب شخصية الفرد في الجماعة فلا يكون له أثره... ومبادراته.. ورأيه... وإبداعاته، والتي هي في الحقيقة عوامل قوة الجماعة وفاعليتها، ومن يتأمل السيرة العطرة للسف الصالح يجد ذلك واضحاً وجليّاً.....

كما لا ينبغي أن تتعاظم ذات الفرد في نفسه، فيراها في جانب والحركة في الجانب الآخر... لا يستجيب لقرار... ولا يتفاعل مع قضية... ولا يتواضع لقيادة... يفعل ما يراه بذاته، ويقتنع به عقله، وينسجم مع رأيه وهواه...

- فالتكامل هو التوازن بين هذا وذاك، لتسير الحركة بإيقاع منظم، ونمو مطرد، وبحيوية متفاعلة: تتكامل فيها الأدوار... وتتعدد فيها المبادرات... وتتناسق فيها الجهود... وتتآلف فيها القلوب.

ومما يدعم ذلك التكامل بين الفردية والجماعية الأمور التالية:

١) وعي الأفراد برؤية الحركة، والفهم العميق لأهدافها.

٢) ترجمة الخطط إلى مهام ومشروعات فردية وجماعية.

٣) إتاحة المجال للفرد في تحديد مجال عطائه، وفق تقدير متبادل بين القيادة والفرد لاحتياجات العمل وأولوياته.

٤) المتابعة والتقييم بما يعزز كفاءة الإنتاجية، وتحقيق الأهداف، وإعادة النظر في علاقة التكامل وفقاً لذلك.

٥) تعزيز روح التعاون، والعمل كالجسد الواحد «وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة (رواه الترمذي)... فلا لإقليمية التنظيمية!!

٦) تفعيل النشاط الدعوي الفردي، وتشجيع المبادرات الفردية.

٧) تحفيز الأعضاء للمشاركة بالاقتراحات، وتبني المناسب منها.

٨) تعزيز المشاركة بالرأي ومن خلال حلقات النقاش وورش العمل ومجالس الرأي.

خامساً - الالتزام التنظيمي وبرامج التنمية الذاتية:

مطلوب من الدعاة أن يطوّروا قدراتهم ومواهبهم لتحسين فاعليتهم الدعوية وإنجازاتهم الحضارية، وهذا سبب من أسباب الإحسان في العمل والإتقان في أداء الرسالة.... قال ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**» (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١١٣)، ومن الشواهد على أهمية التدريب وفقاً لمقتضيات المرحلة أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية (لغة اليهود)؛ وذلك لحتمية التعامل معهم فهم يشّكلون جزءاً من مجتمع المدينة المنورة، فتعلمها رضي الله عنه في سبعة عشر يوماً لفرط ذكائه ونباهته.

لقد أقبل الدعاة على برامج التدريب، وتطوير المهارات الشخصية، وبناء الذات، وهذا من المؤشرات الإيجابية على حيوية الدعاة، وإدراكهم للمتطلبات التي تقتضيها المرحلة، ورغبتهم بتحسين الأداء الدعوي لهم. ولكن الملاحظ على البعض ممن بالغ في التلقي لتلك المواد التدريبية دون تمحيصها وفق الإطار الشرعي والحركي أن بعض المفاهيم لديه قد تشوهت بعدة صور، منها على سبيل المثال:

* **تعاظم الذات لديه**، والمبالغة في الشعور المعجب بقدراته ومهاراته.
* تقديم القناعة الشخصية على القرار الجماعي.
* **المبالغة في الاعتماد على الذات**، والغفلة عن الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه.
* **المبالغة في الدعوة للتغيير لذات التغيير** دون تحقيق المقاصد أو مراعاة كافة الاعتبارات.
* **المبالغة في النظر للمصالح الشخصية.**

وهذه الأعراض تقلل من فاعلية تلك الدورات والبرامج من حيث الأثر الإيجابي الملموس على تطور الحركة وفاعليتها نتيجة ذلك الخلل... مما يؤكد الحاجة إلى أن تُرْسَم الدورات في إطار الفكرة الإسلامية، والسمت الإيماني، والاستيعاب لمتطلبات العمل الحركي والتنظيمي.

سادساً - الالتزام التنظيمي واللياقة الحركية:

اللياقة الحركية: «**هي قدرة الداعية على الاستمرار والمرونة في العطاء حسب: الأولويات... والاحتياجات... والتخصصات... دون تردد أو تقاعس أو يأس**»...

فكما أن اللياقة الجسدية تعني: مرونة جسد الفرد، وقدرته على ممارسة النشاط الحيوي بفاعلية دون تعب أو كلل....فكذلك هي اللياقة الحركية: مرونة وقدرة على التكيف مع الاحتياجات الدعوية والمتطلبات المرحلية....

وكما أن اللياقة الجسدية تكتسب بالـمران والممارسة الرياضية المستمرة والغذاء الصحي..... فكذلك اللياقة الحركية تقوى بالممارسة الدعوية المتنوعة والمواظبة على العطاء وجودة الأداء، والغذاء الروحي والعقلي، واكتساب المهارات الإنسانية.

- يتصور البعض أن الالتزام التنظيمي مانع للياقة الحركية، حيث يتقوقع الفرد في مجال محّدد، وتمضي عليه السنون بحجة أنه لا يحسن غيره، وأن هذا هو قدره، وتلك هي قسمته التي قسمها الله جّل وعلا له، ويتوهم أن أي تغيير أو تحسين أو تطوير له أو للعمل والتخصص الدعوي هو قدح في الالتزام، وتبديل لا يرتضيه، وهنا

تصاب الحركة بالجمود كما يصاب هذا الفرد بالضمور في العطاء، والرتابة في الأداء، وضعف الفاعلية، وتواضع الإنجاز.

صور من اللياقة الدعوية المشرقة:

* **ما رؤى رسول الله ﷺ إلا غادياً أو رائحاً**، وقد غزا وبعث ٢٨ غزوة وسرية، وكان عليه الصلاة والسلام قائداً ومربياً ومعلماً وإماماً وزوجاً وقاضياً.

* **نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل**، صبر على دعوة قومه قروناً طويلة، وشهد الله تعالى له فقال سبحانه: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، كما بذل عليه السلام كل أساليب الدعوة الممكنة، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ – ٩].

* **أبو أيوب الأنصاري**: غزا مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وقال حين أعلن النفير لغزو القسطنطينية في عهد معاوية رضي

الله عنه: (جهّزوني.. جهّزوني فإن الله استنفرنا شباباً وشيوخاً) وقبره هناك عند أسوار القسطنطينية شاهد على ذلك.

* **أسد بن الفرات**: فقيه من أتباع الإمام مالك وصاحب التدوين للموطأ، اقتضت ظروف الفتح الإسلامي أن يتحول من فقيه إلى قائد عسكري بحري، فقاد معركة فتح صقلية، وقد تجاوز السبعين من عمره، وحقق انتصاراً باهراً فكان الفقيه القائد.

* قال سيد قطب رحمه الله: «**إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً، فأما الكبير الذي يحمل العبء فماله والنوم، وماله والراحة، وماله والفراش الدفيء، والعيش الهادئ المتاع المريح، ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر، وقدّره؛ فقال لخديجة رضي الله عنها: «مضى عهد النوم يا خديجة» أجل مضى عهد النوم، وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق**»[1].

* ومن صور اللياقة الحركية في واقع الحركة الإسلامية في الكويت اليوم:

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٤٤.

١ - مشروع «ركاز لتعزيز الأخلاق»:

مرونة ولياقة ومبادرة دعوية متميزة، انتقل فيها هذا المشروع من نهج انتظار قدوم الجمهور لمكان الدعوة إلى نهج الانتقال إلى الجمهور في الأسواق والمجمعات والمدرس والجامعات، ومن نهج الموضوعات المتعددة العامة إلى نهج الشعار المحدد المدروس، والتركيز المؤثر في أدوات الحملة، ومن عدم القدرة على تحديد أثر البرامج الدعوية إلى استخدام الأساليب الحديثة في قياس أثر الحملات المتعاقبة للمشروع.

٢ - مشروع «الدعم الإيجابي لعلاج مرضى السرطان»:

تصاب ابنة أحد الأخوة القائمين على لجان الزكاة بالسرطان، ويتوفاها الله تعالى؛ فيقوم ذلك الأب الصابر بنقلة إيجابية، ملؤها التفاؤل والأمل، ويتجاوز آلام المصاب إلى تنفيذ مشروع خيري رائد يتخصص في علاج مرضى السرطان، وتقديم العلاج الإيماني والنفسي ضمن مجموعة متخصصة، وساهم ذلك المشروع في علاج العديد من المرضى الذين أوشك اليأس أن يقتلهم قبل المرض نفسه.

٣ - مشروع «التواصل الحضاري» لنشر الإسلام في أوروبا:

مبادرة من أحد الأخوة الفضلاء ممن أنعم الله عليهم بلياقة حركية مبدعة، انتقل بها هذا الأخ من التفكير المحدود في محيطه إلى آفاق واسعة

رحبة بعد تأمل لواقع الأمة الإسلامية، ونظرة الشعوب الأوروبية للإسلام، فخطت يده فكرة هذا المشروع الذي يمتد لخمسين عاماً، يأمل خلالها أن يكون الإسلام هو الدين الأول في أوروبا..!! لو سمع بهذا بعض المتخاذلين لظنه يحلم، ويضع أماني خيالية، ولكن هذا الأخ مع بعض من شاركه الألم والأمل وضع التصور الكامل للمشروع، ثم سافر لفرنسا وبعض الدول الأوروبية، والتقى مع مجموعة من الدعاة؛ ليستكمل معهم التصور المتكامل، والبرنامج العملي الطموح من إنشاء فضائيات ومجلات وأفلام ومعارض ونشرات وكتب ومحاضرات، ثم ليحقق الخطوة العملية بإنشاء المركز في أوائل عام ٢٠٠٨ وليبدأ المشوار فعلياً في تحقيق تلك الغاية الكبيرة.

٤ - مشروع «بشائر الخير» لعلاج الإدمان من المخدرات:

بادر مجموعة من الدعاة في جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت بقيادة الشيخ الفاضل عبد الحميد البلالي بتطبيق منهجية إيمانية في علاج الإدمان، واستطاعت هذه المجموعة الكريمة أن تنشأ لجنة «بشائر الخير» التي تحولت لاحقاً لجمعية «بشائر الخير» بعد النجاح الباهر في علاج مجموعات عديدة من المدمنين الذي تحوّل بعضهم إلى دعاة ومعالجين لغيرهم من المدمنين، وأصبح للجمعية حضوراً عربي، عرضت فيها تجاربها الناجحة في تطبيق منهجها.

كـــيف تتحقق اللياقة الحركية.....؟؟:

تتحقق اللياقة الحركية بأمور عدة منها:

١ - النية الصادقة المخلصة لله تعالى أساس التوفيق ووقود العطاء:

قال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، وقوله: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فلو صدقوا الله ما وَعَدُوْه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم إذ قيل لهم إن الله سيأمركم بالقتال طاعة، فوفوا له بذلك، لكان خيراً لهم في عاجل دنياهم، وآجل معادهم.

وعن قتادة ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ يقول: طواعية الله ورسوله، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم.) - الطبري -

٢ - تجديد الانتماء للدعوة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: **هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه**[1] ... فيقوم الداعية بين الفينة والأخرى

---

(١) القرطبي.

بتجديد ذلك الانتماء، وإزالة غبار الرتابة والجمود عنه، وإدراك عظمة الرسالة التي يحملها بين جنبيه.

٣ - معايشة الأهداف والقضايا والهموم الدعوية:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «**لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وتشرَّف نفسه، فأشرف الناس وأعلاهم همة وأرفعهم قدراً من لذتهم في معرفة الله ومحبته، والشوق إلى لقائه، والتودد إليه بما يحبه ويرضاه**»[1] ، وقيل: «**همك ما أهمك**» فالتفكير وشغل الهم والمعايشة لقضايا الدعوة ومشاريعها يشعل جذوة العاطفة ورغبة العطاء ويجدد اللياقة الحركية.

٤ - حمل هّم الدعوة:

و نعني به أن يحمل الداعية تفكيراً ينشغل به عقله وقلبه، وتتأمل فيه خواطره ومشاعره، ويتجدد فيه عزمه وهمته، في الهموم التالية:

- همّ عطائه وبذله والتزامه.
- همّ تحقيقه لواجباته، وسعيه لتحقيق أهداف الدعوة بإحسان.
- همّ ارتقائه في أدائه وجودته وأثره.

---

(١) الفوائد لابن القيم.

- همّ تحقيق الأهداف وألمه لعدم بلوغها.
- همّ المبادرة والتقدم.
- همّ الدفاع عن الدعوة والغيرة عليها والرد عنها.
- همّ كسب الأنصار والمؤيدين وهداية الناس.
- همّ الجدية في العطاء والفاعلية في الإنجاز.

٥ - **المبادرة بالأفكار والمقترحات العملية**: فالعطاء يجدد الحيوية وينشّط اللياقة الدعوية.

٦ - **الإيجابية والمشاركة في المسؤوليات**: فقد شارك رسول الله ﷺ في بناء مسجده، وحفر الخندق، وفي مشاركته في ٢٨ غزوة.

٧ - **إشاعة أجواء التفاؤل والأمل والإيجابية**: والتي توفر الأجواء الإيجابية للعطاء والمبادرة والتنافس، وتجدد اللياقة الحركية

٨ - **الاطلاع على تجارب الآخرين**، والتعرف على مجالات دعوية مختلفة، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٩ - **التسابق والتنافس**: قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٦]. قال بعض السلف: « **السابقون في الصالحات هم المقربون في الدرجات**».

١٠ - **تغليب الجانب العملي على النظري**: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء ٦٦ - ٦٨]... عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل؛ ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾** [الزخرف: ٥٨]» . (رواه الترمذي وقال حسن صحيح)... إن مما تعانيه الحركة الإسلامية اليوم غلبة أجواء الجدل الكلامي والتنظير والاستغراق في المناقشات والدراسات والجدليات على أجواء العمل والمبادرة.

١١ - **استشعار المسؤولية الدعوية**: كن كهدهد سليمان عليه السلام وتأمل كيف تجسد فيه معنى المسؤولية الدعوية في هذا الحوار مع سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ
ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل ٢٢-٢٨].

* وإليك ما يستنبط من تلك الكلمات:

- ﴿أَحَطتُ﴾ : للدلالة على وعيه وإحاطته بما يدور من حوله وفي بلاد الله الواسعة.

- ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ : للدلالة على مبادرته، فهو لم ينتظر الأمر والتكليف، بل بادر وسافر وجاء بالخبر الذي ترتب عليه إسلام ملكة سبأ وقومها من بعد.

- ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ : استيثاق الإخبار والمعلومات من سمات من يتحمل المسؤولية، فهو يدرك ما سيترتب على كلامه ومعلوماته، فلم يرتض أن يخبر بكلام مرسل لم يستوثق منه، بل جاء لسيده بخبر يقين لا يحتمل الشك.

- ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ : إحاطة كاملة بما علمه من خبر بلقيس وقومها، وجاء بالمعلومات التي تنفع لاتخاذ القرار من قبل قائده، وهذه إشارة لما تمتع به هذا الهدهد من شعور عال بالمسؤولية.

- ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : غيرة محمودة لهذا الهدهد، فقد اغتاظ قلبه الصغير على حال الشرك التي كان عليها القوم، وهذا سر إحاطته بالخبر ونقله إياه لسليمان عليه السلام، والغيرة هي قاعدة الشعور بالمسؤولية

- ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ : مواصلة ومواظبة لأداء المهمة حتى نهايتها دون كلل أو ملل، فقد شعر الهدهد أن شرك قوم سبأ هي قضيته الأولى، وأنه سيواصل جهوده حتى يتحقق مراده بإسلامهم وخضوعهم لملك سليمان، والاهتمام بالقضية وحمل همومها هو من دلائل الشعور الكبير بالمسؤولية.

أرأيت كم كان عظيماً هذا الهدهد في أداء دوره الدعوي وتحمل مسؤوليته تجاه هذا الدين...؟ يا ترى كم منا –معاشر الدعاة – يتمتع بمثل هذا الشعور النبيل أو بعضاً منه...!!؟

الفصل الرابع:

استدراكات حول الأداء الدعوي

أولاً - هل نحن دعاة حقاً... ؟!:

من يتأمل الواقع العملي للممارسة الدعوية لأبناء الحركة الإسلامية يلمس ضموراً في الهوية الدعوية والممارسة العملية للتواصل الدعوي مع الناس، والقيام بأمر الدعوة بانطلاقة ذاتية وتلقائية تقتضيها التربية الحركية التي تلقّاها الفرد، وبالشكل المنهجي المبرمج بين مجاميع الدعاة....فالدعوة الفردية قلّ من يمارسها فضلاً عن أن يتقنها..... والإصلاح العام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قلّ من يمارسه بالتلقائية المفروضة نتيجة الفقه بحديث المصطفى ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» (١) ... حتى غدا وصف الفرد بأنه «داعية» لا يصوّر حقيقته... بل الحقيقة أن الأفراد أصبحوا «أعضاءً» في الحركة، ولكنّهم في الواقع ليسوا دعاة.....فوصف المرء بأنه «داعية» لا يتحقق بمجرد انتمائه العضوي للحركة، بل بمدى ممارسته العملية لهذه المهمة الجليلة التي ينتسب بها لركب المصطفى ﷺ بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ

---

(١) رواه مسلم.

أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، فمن اتّبع الرسول ﷺ وأراد أن يكون في زمرة الدعاة، فليدعُ إلى الله كما دعا.

ثانياً - هل نحن بحاجة لتجديد الروح الدعوية ؟

طرح هذا السؤال على مجمع من الدعاة في لقاء حول المهارات الدعوية فكانت الإجابة بـ «نعم» تمثل نسبة ٩٦٪، وعند سؤالهم عن مستوى الممارسة الدعوية الفردية لدى الدعاة أجاب ٤٤٪ منهم بأنها «ضعيفة» وقال ٤٨٪ منهم، أنها «متوسطة».

ومن المظاهر الدالة على ذلك:

١ - تراجع الممارسة الدعوية الذاتية: فمن من الدعاة اليوم لديه قائمة من المدعوين يتواصل معهم ؟ وكم من الدعاة أهدى كتاباً أو شريطاً خلال أسبوع أو شهر أو سنة ؟).

٢ - عدم تزايد أعداد المؤيدين ، واقتصار الأنشطة على أعضاء مؤسسته الدعوية.

٣ - التواصل مع الناس غلب عليه الطابع الاجتماعي، وخمد فيه المضمون الدعوي، فأصبح تواصل الداعية كتواصل غيره من

العوام يؤديه كمتطلب اجتماعي، وليس تواصلاً دعوياً في مضمونه.

٤ - عدم الدعوة للأنشطة الدعوية العامة التي تقيمها المؤسسات الدعوية، فقلما يحرص الأعضاء على توجيه الدعوات للناس للمشاركة في أنشطتهم العامة، وصار الاهتمام منصباً على مشاركة الدعاة أنفسهم.

٥ - غياب التحرك الدعوي بشكل منهجي ومخطط، فهو إن حدث من بعض الأفراد؛ لحماسته واهتمامه، فإنه غالباً ما يكون عفوياً وحسب الظروف، يخلو من الترتيب والمرحلية وتحديد الرسائل التي تعطى للمدعو حسب تدرج العلاقة معه كما تخلو من الترتيب الجماعي.

٦ - تراجع مستوى الاهتمام من خلال الحوارات والتوجيهات الخاصة بالدعاة للحديث عن الدعوة وأساليبها وفنونها وتجارب الدعاة وتناصحهم في الوسائل المثلى للدعوة.

٧ - قلة المقبلين على العمل كأئمة وخطباء حتى ممن هم مؤهلون من الناحية الشرعية، وحازوا على مؤهلاتٍ عليا، وكذلك من المتفرغين لطلب العلم، فيظل أحدهم منكباً على تحصيله سنين عديدة، ويتردد في قبول التصدي لدعوة الناس كإمام أو خطيب.

وعند سؤالهم عن أهم الأسباب المؤدية إلى ذلك الضمور في الأداء الدعوي:

أفاد ٤٢٪ منهم بأن الانشغال بالأنشطة السياسية عن العمل الدعوي من أهم الأسباب، وقال ٢٦٪ منهم بأن ضعف المتابعة للعمل الدعوي هو أهمها، وأضاف آخرون أسباباً أخرى منها:ضعف الهم الدعوي، والانشغال بالأمور الشخصية والحياتية، والاكتفاء بالظهور السياسي والإعلامي للحركة الإسلامية، وضعف القدرات الثقافية والمهارات الدعوية، وما يُرى من كثرة أعداد المصلين، لاسيما في المواسم الإيمانية كشهر رمضان وأيام الحج فيضعف الدافع للنشاط الدعوي الفردي نتيجة لذلك الجو العام.

*** ومعنى أن تتجدد الروح الدعوية لدى الدعاة:**

١ - أن يتجدد شعور الفرد ووعيه بأنه داعية ذو رسالة وغاية ومنهج، يقول ابن القيم: (**الدعاة جمع داع كقاضٍ وقضاة، وراع ورعاة، وإضافتهم إلى الله للاختصاص، أي الدعاة المتخصصون به، الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته، وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً**)... فأين نحن من هذا الوصف؟

٢ - أن تصبح الدعوة الهم الأهم والشغل الأكبر في نفس الداعية، فالهم والتفكير أساس العمل ومنطلقه، مصداقاً لقوله ﷺ «**من جعل الهمَّ همًّا واحداً همّ آخرته، كفاه الله عزَّ وجلَّ ما همَّه من أمر الدنيا**» (شعب الإيمان). واستمع للإمام البنا – رحمه الله – يتحدث عن بواعث تأسيس جماعة الإخوان المسلمين وبوادر ذلك التأسيس حيث يقول: «**ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء ، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء.... وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا في مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة، والخلِيُّون هاجعون يتسكَّعون بين المقاهي، ويترددون على أندية الفساد والإتلاف ، فإذا سألت أحدهم عما يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة قال لك: أقتل الوقت ، وما درى هذه المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه ، فإنما الوقت هو الحياة.**

كنا نعجب لهؤلاء الناس وكثير منهم من المثقفين ، ومن هم أولى منا بحمل هذا العبء ، ثم يقول بعضنا لبعض: أليس هذا داء من أدواء الأمة ولعله أخطرها ، ألاّ تفكر في مرضها وألاّ تعمل لعلاج نفسها.

ولهذا وأمثاله نعمل ولإصلاح هذا الفساد وقفنا أنفسنا، فنتعزى ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه»[1]. ().

٣ - أن تكون ممارسة الدعوة سلوكاً عملياً وذاتياً للفرد، ينطلق فيه بذاتيته وإيجابيته دون الحاجة لمزيد من التكاليف والأوامر، وتكرار التوجيه والحث والمتابعة، يقول أحد الأخوة « أنا إذا رأيت مصلياً جديداً لا أرتاح حتى أتعرف عليه « وتعرفت يوماً على أحدهم وإذا به مغنٍ مشهور ذائع الصيت وما زال حتى أصبح من أنشط رواد المسجد والديوانية ».

كيف نجدد الروح الدعوية في نفوسنا... ؟

١ - بتجديد وعينا وإدراكنا ومعايشتنا لشرف ومكانة الدعوة وفضلها:

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فهي أعلى الرتب وأفضل المقامات بعد مقام النّبوة.

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية.

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨] ففيها الإتباع الحق للنبي ﷺ.

- وقال ابن القيم رحمه الله: (**مقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد**).

- وقال ابن الجوزي رحمه الله: (**ألست تبغي القرب منه**) ؟ **فاشتغل بدلالة العباد عليه؛ فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد؛ لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم ؟ وهل كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق، وحثهم على الخير، ونهيهم عن الشر ؟.**

- قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «**دلت الآيات والأحاديث على وجوب الدعوة إلى الله، وأنها من الفرائض**».

٢ - اليقين بالأجر والثواب المتحصل من الدعوة:

- قال تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ ﴾ ... الآية [القصص: ٦١].

- قال ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن**

سنّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[١].

- نيل بركة دعاء النبي ﷺ: «نضّر الله امرأً سمع مقالتي، فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٢].

- قال ﷺ: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[٣].

- وقال ﷺ: « لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[٤]. قال ابن القيم: «وهذا يدل على فضل العلم والتعليم، وشرف منزلة أهله بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذلك خيراً له من حمر النعم وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس».

---

(١) رواه مسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

- وهذا فضل لو تأمل فيه الدعاة وتدبروه لعلموا أنه باب للأجر والثواب مفتوح غير منقطع، فما يعمل المدعو المهتدي من أعمال صالحة إلا كان للداعية مثل أجره، كما أن هذا المدعو سيتحول إلى داعية، وربما فاق الداعية الذي دعاه في فضله ونشاطه، وكل ذلك يصب في ميزان الأول، وربما أصبح من الدعاة المشهورين أو العلماء العاملين، فيتعاظم عندها رصيد من دعاه.

٣- فهم الدعوة أنها قرينة للدين والتدين، وهكذا كانت سيرة الصحابة، فقد أدركوا أن الإسلام يعني الدعوة إليه، وهذا ما كان من أبي بكر رضي الله عنه حين أسلم، حيث باشر الدعوة من فوره، وأسلم على يديه في اليوم الأول عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨][1].

٤- إدراك أن لا وجود للحركة الإسلامية، ولا تنامي لدورها بدون دعوة وتواصل مع الناس، وحركة ونشاط، وتوسع لأعداد المؤيدين والمنتسبين.

---

(١) أسباب النزول للسيوطي.

٥ - تحقيق رؤية الحركة وأهدافها ورسالتها التي لن تتحقق إلا بنشاط دعوي فردي وجماعي ومؤسسي، متواصل ومتكامل، ومتجدد وصبور ومتفائل.

٦ - إدراك أن ممارسة الدعوة تحقيق لسنة «التدافع بين الحق والباطل»، واستجلاب لسنة «الأمن»، وسبب لسنة «النصر والتمكين».

٧ - تطوير القدرات والمهارات الدعوية، واستخدام الوسائل العملية والحديثة لتجديد الروح الدعوية، مما يزيد في عطاء الداعية ويجدده.

٨ - الإحياء والتذكير المستمر والمكثف لفضل الدعوة وأهميتها، والتحاور في فنونها وأساليبها وعلاج مشاكلها.

٩ - أن يكون لكل داعية دور دعوي واضح، أقله التواصل الدعوي مع (١٠) أفراد لكل سنة.

١٠ - تفعيل دور الدعاة في المساجد كمنطلق للدعوة.

١١ - تفعيل الأنشطة الدعوية من خلال المؤسسات والديوانيات والأنشطة الجماعية.

١٢ - الاستفادة من وسائل الاتصالات الحديثة.

ثالثاً - أيهما أولى: الدعوة الفردية أم الجماعية... ؟

وهل المرحلة الحالية تحتاج لأسلوب الدعوة الفردية؟:

- الدور الفردي للداعية أساسي؛ لأنه أصل التكليف الشرعي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن ٢٢ - ٢٣] (**أي لا أملك ضراً ولا رشداً إلا التبليغ من الله، فإن فيه أعظم الرشد، ولن أجد من دونه ملجأً إلا التبليغ. قال مقاتل: ذلك الذي يجيرني من عذابه**) [١]...

- كما أن أساس النجاح الحركي هو التفاعل والأداء الفردي ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. قال ابن القيم رحمه الله تعليقاً على الآية: «**جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة، والمعاند الجاحد يُجَادل بالتي هي أحسن**»، والداعية الذي لا يباشر الدعوة الفردية ويمارسها عملياً لن يدرك أساليب الدعوة

---

(١) فتح القدير (باختصار).

الجماعية ولن يتقن فنونها؛ لأن معرفة طبائع الناس، واستنباط المداخل المناسبة لهم، لا تتحقق إلا بالممارسة العملية للدعوة.

- وقول النبي ﷺ : «**نضّر الله امرأً سمع مقالتي فبلغها، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[1] . ترغيب بأداء الدعوة على المستوى الفردي، مهما كانت الحصيلة العلمية للداعية، طالما بلّغ ما علمه بأمانة..

- والدور الفردي لا يعني الانفصال عن الدور الجماعي، بل إن الدور الجماعي يعزّزه ويسانده ، ويوفر له البيئة التي يمكنه إشراك المدعوين فيها؛ لتعزيز العيش الجماعي والمشاركة الوجدانية

- ولا تعارض بينهما لأنهما يكملان بعضهما البعض، فبعض الأفراد قد يحسن الكسب والتعرف ولكنه لا يحسن التوجيه والتربية، فيقوم غيره بهذا الدور، ويكملان بعضهما البعض.

- ومن المؤكد أن الحاجة اليوم للدعوة العامة ملّحة، ولكن الاقتصار عليها دون قيام الدعاة بالاتصال المباشر مع الناس وممارسة الدعوة الفردية، لن يحقق للحركة كسباً فعلياً وميدانياً، وتأييداً ملموساً.

---

(١) رواه الترمذي.

- ليس بالضرورة أن يكون هدف الدعوة الفردية اليوم أن يتحول الجميع إلى أعضاء في الحركة، بل وجود دوائر من المؤيدين والمناصرين تساهم في تحقيق المشروع الإسلامي.

الفصل الخامس:

استدراكات حول العمل المؤسسي

أصبح العمل المؤسسي محوراً هاماً من محاور العمل الدعوي في مرحلة الانفتاح والعمل العام، إذ إن الأنماط الدعوية السابقة ذات التواصل المجتمعي المحدود، والاتصال الدعوي الفردي لا يمكن وحدها أن تنهض بأعباء ومتطلبات الدعوة العامة والتواصل الاجتماعي الواسع، فضلاً عن إيجابيات العمل المؤسسي في تدعيم الخبرات...وتقليل الأثر الشخصي لقيادة العمل، وارتباط النشاط، والإنجاز بوجود أشخاص بعينهم..... فيسير العمل حينها وفق أنظمة ولوائح وأساليب وأنماط معلومة وموثقة، تضمن استمراريته ونماءه بغض النظر عن شخصية القائم عليه.....، كما يساهم العمل المؤسسي في تعزيز هوية الدعاة، ووضوح انتمائهم، وعلنية أنشطتهم، وبروز قياداتهم بصفاتها المؤسسية... ولا شك أن هذه نقلة نوعية لها آثارها العملية والنفسية الواضحة.

ومن تمام التحضير لهذه النقلة أن مهدت الحركة الإسلامية لها بحملة توعية داخلية لتأصيل مفهوم «العمل المؤسسي» وشرح متطلباته

وعوامل نجاحه، كتهيئة مسبقة ومصاحبة لإنشاء المؤسسات الاجتماعية والشبابية والتربوية التي تتابع ظهورها في صورة بديعة تشير إلى المرونة العالية التي تمتع بها الدعاة في قدرتهم على استيعاب تلك النقلة والتجاوب معها والتنافس فيما بينهم في بنائها واستيفاء متطلباتها....إلا أن هذه النقلة وهذا التطور صاحبته مجموعة من التساؤلات أو الإشكاليات التي هي من قبيل الإشكالات المتوقعة لعملية التطور والتغيير، نستعرض أهمها فيما يلي:

أولاً - العمل التنظيمي الداخلي والعمل المؤسسي العام: تعارض أم تكامل... ؟ :

استشكل على بعض الدعاة عند الانتقال للعمل المؤسسي التغيير في بعض أنماط العمل وأساليبه وقواعده، مقارنة مع ما اعتادوه من أنماط وأعراف في العمل التنظيمي والتربوي....

ومن أمثلة تلك التساؤلات: **كيف يتم إعداد برامج العمل ؟... ومن الذي يعتمدها:مجلس إدارة المؤسسة أم قيادة العمل؟... كيف يتم اختيار مجلس الإدارة؟... هل تطبق شروط الاختيار المستخدمة لاختيار الأعضاء والقيادات نفسها للعمل المؤسسي... أم توضع مواصفات**

تناسب العمل الجديد؟... كيف يدار العمل المؤسسي بوجود العمل التنظيمي ؟... كيف يتم تحقيق الأهداف والبرامج التربوية ؟... وكيف يتم التنسيق بين البرامج التربوية الخاصة بالأعضاء والأنشطة المؤسسية الجماهيرية ؟... وغيرها من التساؤلات والإشكاليات التي طرأت على ساحة العمل الدعوي. والواضح أن العلاقة الإيجابية والصحيحة بين العمل التنظيمي والمؤسسي هي علاقة التكامل، التي تقتضي أن يعضد كل عمل منهما الآخر، ويسانده ويدعمه في تحقيق أهدافه، ومن المؤكد أن هذا التكامل المطلوب ليس عقدة يصعب حلها، بدليل تجاوز كثير من مواقع العمل لهذه الإشكاليات.

ولتعزيز هذا التكامل نقترح السياسات والإجراءات التالية:

١ - العمل المؤسسي في جوهره وحقيقته عمل إداري، يشترك والعمل التنظيمي في كثير من قواعده وأسسه، ولهذا ينبغي التعامل مع تلك الإشكاليات بقدر من الموضوعية والواقعية والتقليل من منهجية «أرأيت لو..»، مع التأكيد على أن بعض تلك الإشكاليات هي على قدر من الواقعية، وتتطلب وضع قواعد وإجراءات لعلاجها.

٢ - هياكل العمل وإجراءاته وأعرافه هي وسائل لتحقيق الأهداف، وليست مقصودة ومطلوبة لذاتها، فلا ينبغي أن تحاط بهالة من

القدسية تمنع النظر فيها والتعديل عليها وتطويعها بما يحقق الأهداف والغايات بكفاءة وفاعلية...، ومن هنا ينبغي أن تكون طبيعة التساؤلات في هذا الإطار باتجاه السؤال التالي: ما الذي ينبغي وضعه من هياكل وإجراءات وسياسات تحقق الأهداف بفاعلية وكفاءة.... ؟

٣ - وحدة قيادة العمل بشعبتيه المؤسسية والتنظيمية هي الصورة المثلى للتكامل المنشود، وسيقضي ذلك على كثير من الإشكاليات المذكورة حيث يكون القرار موحداً.... فإن بذور الإشكاليات عندما تقع تكون للعمل قيادتين إحداها ذات السلطة، والأخرى ذات الاختصاص، فيحدث عند ذاك تنازع الصلاحيات، وتطرأ تلك الإشكاليات التي ربما شغلت الدعاة عن تحقيق أهداف العمل، وهذه السياسة (وحدة القيادة) تتطلب أن تكون تلك القيادة قادرة ومؤهلة لإدارة العملين بكفاءة....وأن تخاطب المجتمع بصفتها المؤسسية.

٤ - وجود المؤسسية ينبغي أن يكون وجوداً حقيقياً لا شكلياً، وأن تمارس المؤسسية في قواعدها وأساليبها وأنشطتها بواقعية وفقاً لاختصاصاتها وأهدافها المعلنة، لا لتكون غطاءًا للعمل التنظيمي.

٥ - المؤسسية تعني العلنية والمجتمعية، ومن هنا فإن انفتاح المؤسسة وفتح باب العضوية لأفراد المجتمع الذين يؤمنون بأهدافها أمر من لوازم المؤسسية بل هو مؤشر لنجاحها، لاسيما إذا تحققت لهم المشاركة الفعلية في أعمالها وأنشطتها.

٦ - التربية من سمات المؤسسة الدعوية، ومن متطلبات تحقيق مصداقيتها ومن عوامل نجاحها، فلابد من تخصيص وحدة للعناية بهذا الجانب ضمن الهيكل المؤسسي لتحقيق التكامل في الأدوار المطلوبة من المؤسسة، الأمر الذي يغني عن أية جهود موازية أخرى.

ثانياً - قيادة العمل المؤسسي: لمن... ؟:

مما لاشك فيه أن اختيار القائمين على الجهود التربوية والتنظيمية يتم وفق معايير ومواصفات تحقق القدر المطلوب لأداء تلك المهام، وبنفس الاتجاه فإن العمل المؤسسي يتطلب اختيار قيادته وفق المعايير التي تحقق فاعليته وتنجز أهدافه، بل إن مسؤولية الاختيار هنا تتعاظم، حيث أن المؤسسة تواجه المجتمع، ورموزها هم الذين يرسمون صورتها... ويحددون هويتها.... ويرسمون شخصيتها.... ويحققون إنجازاتها، والخطأ في الاختيار إزاء هذا الوضع يكون ثمنه غالياً، وقد يصعب تلافيه، وهذا يقتضي أحد أمرين:

الأول: أن يبذل القائمون على العمل المؤسسي - ممن تم اختيارهم وفقاً للمعايير التنظيمية - جهوداً في تدريب أنفسهم، وتأهيلها لتكون قادرة على إدارة ذلك العمل بجدارة.

الثاني: أن يتم اختيار الأصلح والأكفأ لإدارة المؤسسة وإن لم يكن هو الأولى وفقاً للمعايير التنظيمية، وهذا يقتضي من القائمين مرونة في التكّيف مع هذا الوضع وفقاً «لمعادلة التكامل» التي تتطلب تنسيقاً محكماً في مثل هذا الوضع، منعاً للتعارض والتداخل في المهام والاختصاصات.

لقد اختار النبي ﷺ عمرو بن العاص قائداً لِسَرِيَة «ذات السلاسل» بعد ثلاثة شهور من إسلامه، فقاد تلك السرية وفيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلم تشكل حداثة إسلامه عائقاً أمام توليته القيادة لأنه كان الأصلح لقيادتها، فقاعدة «اختيار الأصلح» هي أساس التنصيب القيادي في الإسلام، وللإمام ابن تيمية كلام رائع في شرح هذه القاعدة حيث قال في كتابه (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية): «... إذا عَرَفَ هَذَا، فَلَيْسَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ إلَّا أَصْلَحَ الْمَوْجُودَ، وَقَدْ لَا يَكُونُ فِي مَوْجُودِهِ، مَنْ هُوَ صَالِحٌ لِتِلْكَ الْوِلَايَةِ، فَيَخْتَارُ الْأَمْثَلَ فَالْأَمْثَلَ فِي كُلِّ مَنْصِبٍ يَحْسِبُهُ، وإذا فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ الِاجْتِهَادِ التَّامِّ،

وَأَخْذِهِ لِلْوِلَايَةِ بِحَقِّهَا، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَقَامَ بِالْوَاجِبِ فِي هَذَا، وَصَارَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ وَالْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ»... ثم أضاف مبيناً أسس اختيار الأصلح حسب اختصاص الولاية ووظيفتها ومتطلباتها «... وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ الْأَصْلَحَ فِي كُلِّ مَنْصِبٍ، فإن الْوِلَايَةَ لَهَا رُكْنَانِ: الْقُوَّةُ وَالْأَمَانَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وَقَالَ صَاحِبُ مِصْرَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] ، وَقَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ جِبْرِيلَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١] . وَالْقُوَّةُ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ بِحَسَبِهَا، فَالْقُوَّةُ فِي إِمَارَةِ الْحَرْبِ تَرْجِعُ إلى شَجَاعَةِ الْقَلْبِ، وَإِلَى الْخِبْرَةِ بِالْحُرُوبِ، وَالْمُخَادَعَةِ فِيهَا، فإن الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، وَإِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الْقِتَالِ: مِنْ رَمْيٍ وَطَعْنٍ وَضَرْبٍ، وَرُكُوبٍ وَكَرٍّ وَفَرٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ».

ثالثاً – العمل المؤسسي والانفتاح الجماهيري: عقدة أم متطلب...؟:

كان المنطلق لمنهجية العمل الدعوي المؤسسي هو توسعة إطار التواصل المجتمعي، والانفتاح على مؤسسات المجتمع وجماهيره؛ لنشر القيم والمبادئ، والمساهمة في علاج المشكلات، وتحقيق التنمية المجتمعية

المنشودة ضمن الإطار الإسلامي، وعلى قدر ما يتحقق ذلك التواصل والانفتاح يكون النجاح والفاعلية في بلوغ المؤسسة لأهدافها، وقد برزت بعض جوانب المعاناة لدى الدعاة في قدرتهم على التكّيف مع هذه النقلة من الإطار الخاص للعمل إلى الإطار المجتمعي، وتمثّلت تلك المعاناة في الصور التالية:

١ - تواضع القدرة على صياغة الخطاب الدعوي العام والمنفتح على المجتمع، سواء على مستوى الأفكار، أو الأسلوب، أو المفردات، بالشكل الذي يحقق للرسالة أهدافها، ويضمن للمجتمع استيعابه وتفاعله مع مضامين تلك الرسالة.

٢ - كيف تتم الموازنة بين ما تريد المؤسسة تحقيقه من أهداف وموضوعات وعناصر للخطاب العام مع احتياجات المجتمع ومشاكله وقضاياه اليومية...؟ فالبعض يرى أنه من غير الملائم أن يكون الشغل الشاغل للمؤسسة الدعوية أن تتابع جميع ما يطلبه الجمهور ويحتاجه ويعانيه، وتغفل عن رسالتها الأصلية وأهدافها المرسومة، كما أن آخرين يرون أنه من غير المناسب أن تغفل المؤسسة عن تلك القضايا فتتحدث للناس وهي في واد والمجتمع بواد آخر، وهذا من شأنه تقليص قابلية المؤسسة من قبل الجمهور

وانفضاضهم عنها، الأمر الذي يتطلب موازنة محكمة بين ما تريده المؤسسة وما يحتاجه المجتمع.

٣ - الانفتاح على المجتمع يتطلب مهارات وقدرات شخصية ومؤسسية مثل: مهارة الخطاب الجماهيري... العلاقات العامة، فنّ الاستقطاب والتأثير... العلاقات الاجتماعية... التواصل الاجتماعي... إدارة الأنشطة الجماهيرية... تنظيم الحملات الإعلامية. وهذه المهارات تقتضي بذل الجهد في اكتسابها بالوسائل العلمية ذات الخبرة في التدريب والتأهيل؛ وذلك لتوفير الأوقات والجهود عن البديل الآخر وهو اكتساب المهارة بالتجربة الذي قد يوقع المؤسسة في إخفاقات كانت في غنى عنها لو تدّرب قادتها على تلك المهارات.

٤ - إشكالية السلبيات المتوقعة للتمادي في الانفتاح، حيث يقل الجهد التربوي، ويتأثر القائمون بالتواصل الجماهيري بسلبيات المخالطة مع الناس، وما يستتبعه ذلك من آثار على السمت التربوي للدعاة، ويحرم الدعاة لاسيما الشباب منهم من الجهود التي ينبغي أن توجه لصقل شخصياتهم وتنمية قدراتهم التنظيمية، فضلاً عما يتطلبه العمل المؤسسي من جهود إدارية مضنية تكون على حساب البناء الداخلي للحركة.

تلك المعاناة تجعل القائمين على العمل المؤسسي بين جذبين وتيارين:

جذب خيار العمل المؤسسي المنفتح الذي تم الولوج فيه، وجذب متطلبات البناء الداخلي لأعضاء الحركة وأجهزتها، الأمر الذي يوجب وضع موازنة محكمة وسياسة حاكمة تحسم ذلك الجدل، وتتجه بالجهود إلى تحقيق الأهداف بفاعلية تعطي لكل ذي حق حقه.... كما أرشدنا المصطفى ﷺ بقوله لأبي الدرداء عندما أنكر عليه سلمان الفارسي، رضي الله عنهم أجمعين، تفرغه للعبادة، وإهماله حق زوجته والحقوق الأخرى **(فقد) آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء.... فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة. فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا.... فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل، قال: فإني صائم، قال:ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل.... فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم.. فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم.. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن... فَصَلِّيَا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً.. ولنفسك عليك حقاً.. ولأهلك عليك حقاً... فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: صدق سلمان)** (١).

---

(١) رواه البخاري.

ومما يساعد في تحقيق تلك الموازنة المحكمة والسياسة الحاكمة ما يلي:

١ - تأصيل شرعية العمل العام، فمن المعلوم أن المرحلة السرية للدعوة الإسلامية، بعد بعثة النبي ﷺ، لم تستغرق إلا ثلاثة أعوام.... بعدها شرع النبي ﷺ بالصدع بالدعوة، وإعلانها على رؤوس الأشهاد.... فكان يصعد على الصفا ويخطب في قريش، ويسعى بين قبائل العرب في مواسم الحج لنشر الدعوة وطلب النصرة، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وتأمل قوله تعالى: ﴿فِي النَّاسِ﴾ ففيه إشارة لطيفة إلى المعايشة والمخالطة المطلوبة من الدعاة لمجتمعهم.

٢ - الاستذكار المستمر لفضائل الدعوة العامة، فهداية شخص واحد أفضل من الدنيا وما فيها فكيف بجماهير...؟ ومن دعا إلى هدى وخير كان له من الأجر مثل أجور من انتفع بذلك الخير، وإن من يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن اعتزلهم ، قال ﷺ: **«فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»**، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»**[١].

---

(١) رواه مسلم.

وقوله: «**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم**» (رواه أحمد).

٣ - إدراك أهمية العمل العام في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، والتي ما تأسست إلا للتأثير في المجتمع، ونشر رسالة الخير والهداية بين الناس، وتبليغ دعوة الله تعالى للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ سبأ: ٢٨ ﴾ [سبأ: ٢٨]. قال المفسرون: (وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، **ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين، العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً من أطاعك، ونذيراً من كذبك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر**)[1].

٤ - الوعي بأن مرحلة التكوين التي مرت بها الدعوة، ويمر بها الفرد ليست هي الغاية، بل هي وسيلة لبلوغ المرء مرضاة الله تعالى، وليتأهل أن يكون داعية يهدي الناس للحق والخير الذي اهتدى إليه، بل إن الدعوة إلى الله تعالى هي مهمة عامة لكل من بلغه علم عن الإسلام كما أرشدنا المصطفى ﷺ حين قال: «**بلّغوا عني ولو**

---

(١) الطبري.

آية فرّب مبلّغ أوعى من سامع...» (أخرجه البخاري والترمذي).

٥ - التنسيق بين الأهداف والوسائل والمهام والأعضاء هو الخيار الأمثل لتحقيق الموازنة المحكمة والتكامل المنشود.

٦ - توثيق تلك القواعد المذكورة والتنسيق في الخطط العملية واللوائح والنظم ، حتى لا تخضع السياسات والإجراءات للآراء الشخصية.

إن مما أثار إعجاب المؤرخين في شخصية الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، هو ذلك التكامل المحكم في شخصيته.. والقدرة الفذة للجمع بين الزهد والورع والعبادة... والعدل والكفاءة الإدارية على إدارة شئون الدولة الإسلامية، حتى بلغت تلك القدرة أن يفتي واليه في الأندلس السمح بن مالك الخولاني بأن يختار الإنفاق لبناء قنطرة قرطبة على بناء سورها، فأمر أن تبنى القنطرة من حجارة السور ويبنى السور من اللبن، هذه القنطرة التي تعتبر من أعظم الآثار العمرانية للمسلمين في الأندلس....

أرسل ميمون بن مهران لعمر بن عبد العزيز رسالة ليعفيه من الولاية (وكان قد ولاّه) يقول فيها: (كلفتني ما لا أطيق... فأقلني).

فرد عليه عمر بن عبد العزيز:

« إجب الخراج...

و اقض بين الناس بما استبان لك من الحق...

فإن أشكل عليك أمر فارفعه إلي....

فلو أن الناس كلما ثقل عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا».

فما أحوجنا إلى أن نقتدي بأولئك الأفذاذ الذين صنعوا الأمجاد للأمة، وغيّروا مجرى التاريخ صعوداً في مسارها الحضاري.

الفصل السادس:

الانفتاح... والعمل العام:

أولاً - الدعاة بين التأثير والتأثر:

الدعوة هي رسالة، والداعية هو من يبلّغ تلك الرسالة إلى المدعوين، وهذا التبليغ يقتضي أن يكون الداعية في موضع التأثير الذي هو في الحقيقة سبيل التبليغ... والتأثير في المدعو قد يتحقق بالحوار أو الموعظة أو المعايشة والاقتداء أو بالاستعانة بأدوات الدعوة المتنوعة من الكتب والكتيبات والمطويات والأشرطة المرئية أو المسموعة والخطب والمحاضرات ووسائل الاتصالات الحديثة وغيرها...وعلى قدر قوة التأثير تكون سرعة الاستجابة للرسالة... وسلامة الفهم للمبادئ... وسرعة التغيير في السلوك.

لقد كان سيد المرسلين وإمام الدعاة نبينا محمد ﷺ أفضل من دعا إلى الله تعالى، حيث برزت في سيرته قوة التأثير على من سلمت فطرتهم واستمعوا له بوعي وتجرد، فكان أحدهم لا يملك بعد أن يستمع له، أو يرى عملاً من أعماله وخلقاً من أخلاقه إلا وينطق بالشهادة من فوره...

فهذا ضِماد الأزدي من أزد شنوءة باليمن، قدم مكة، وسمع ما كانت قريش تصف به رسول الله ﷺ من أنه شاعر أو مجنون، وكان يَرقي المرضى والمصابين، فأتى الرسول ﷺ وعرض عليه أن يرقيه، فقال رسول الله ﷺ: « **إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد:**» [1]، وكان لتلك الكلمات وقْعٌ في نفسه، فطلب من رسول الله ﷺ أن يعيدها عليه ثانية، ثم قال: «**لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء... هات يدك أبايعك على الإسلام**»[2].

• ولكن المتأمل لمسيرة الدعاة وهم يخوضون غمار العمل العام والمخالطة لنماذج عديدة من الناس، في أجواء إعلامية وضغوط اجتماعية ومنافسات سياسية، يلحظ أن البعض يتحول، من حيث يشعر أو لا يشعر، من موقع التأثير إلى موقع التأثر... ولا نعني هنا التفاعل المشترك والمطلوب بين الداعية والمدعو الذي يقتضي المشاركة له في أحواله وظروفه، إنما نقصد التأثر السلبي الذي يجّر الداعية إلى خانة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده(١/ ٣٠٢)، ومسدد في مسنده - ومسلم في صحيحه (٢/ ٥٩٣ رقم ٨٦٨٤).

المتلقي والمستجيب لأنماط من الفهم والسلوك تخالف ما تعاهده وتربى عليه..... وقد ترجع أسباب تلك الحالة إلى أمور عدة تتباين حسب العمر والوضع الاجتماعي للداعي والمدعو، ولكن من أهمها:

١ - غالباً ما يظن أولئك الدعاة، الذين يتأثرون سلباً، أن من مقتضى الحكمة في الدعوة ولكسب القلوب والمعايشة الفعلية والمخالطة للمدعوين، أن يقاربهم ويحاكيهم في أنماط العيش وطرق التفكير، وينسحب ذلك على الفهم والسلوك لاحقاً، وهذا المسلك يتطلب تقوى عاصمة للقلب... وفقهاً حافظاً للدين.... وفهماً ضابطاً لقواعد الدعوة، فإنه سبيل لا يخلو من المزالق والآفات إذا لم يتداركها الدعاة فرادى وجماعات...وإلا فإن الإنجاز الدعوي للحركة سيتضاءل، والقوة الفاعلة لمجموع الدعاة ستتراجع، بل إن شخصية الداعية وتدّينه وثباته سيكون مُهّدداً.... نرى ونسمع عمن تخلى عن سمته الإسلامي، وتنازل عن ثوابته في أداء الفرائض واجتناب المحرمات، وتراخى في ضوابط كسبه للمال والسمت الإسلامي لأهله وبيته، وتعّمد الظهور بمظهر غير المتدين، وهذا التردي ابتدأ بمثل ذلك الادعاء المشبوه... ولا يدري هؤلاء أن الناس يزداد إعجابهم وقناعتهم وقبولهم لمن

يحترم مبادئه، ويتمسك برسالته، ويثبت على قيمه؛ لأن ذلك بذاته دعوة وتأثير بالقدوة والسلوك.....

ومن صور المهالأة لغير المسلمين والتي رويت في تاريخ الأندلس: **أن أحد ملوك الطوائف استقبل أحد ملوك النصارى في مملكته، فأراد أن يبالغ في مهالأته والتصنع له فأمر بأن لا يؤذن لصلاة الفجر قرب قصر الضيافة لذلك الملك النصراني حتى لا يتنغص عليه نومه....فلما أصبح زاره في مقر ضيافته وأخبره بصنيعه هذا، فرّد عليه النصراني وقال: «ليتك لم تفعل... فقد كنت متشوقاً لسماع الأذان فأنا أستعذب ذلك النداء لصلاتكم، وكان خيراً لي لو أبقيته»....** ومما ذكره ابن حزم عن مهالأة ملوك الطوائف للنصارى قوله: **«والله لو علموا أنّ في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى، فيمكّنونهم من حرب المسلمين، لعن الله جميعهم، وسلّط عليهم سيفاً من سيوفه»**، ولما سقطت (مالقة) وتحوّل مسجدها الأعظم إلى كنسية أرسل أبو عبد الله الصغير إلى ملك النصارى يهنّئه في ذلك؛ لأنها كانت معقلاً لمنافسه عمه أبي عبد الله الزغل[1].

---

(١) صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي. د. علي الصلابي.

٢ - يظن البعض أن التنازل عن سمات التدين والظهور بمظهر العامة (العاديين) سيتيح له الفرصة ليتبوأ منصباً وظيفياً، أو موقعاً اجتماعياً، أو شهرة إعلامية، وإقناعاً لنفسه ولإخوانه المتسائلين عن هذا التغيير في سمته وسلوكه فانه يجيب: «إني افعل ذلك لمصلحة الدعوة، وإيجاد مواقع التأثير لها، ولا أطمع لغرض شخصي...!»... فإذا ما نال ذلك المنصب المرتقب، ابتلاء من الله تعالى واختباراً، كما قال عز وجل: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون ٥٥-٥٦]. كان آخر ما يفكر فيه: مصلحة الدعوة، بل سيتمادى لجهله في هذا الأسلوب، وينصح به من يشاركه الطموح والآمال ليعزم ولا يتردد، وتناسى قول الله عزّ وجّل: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠] **أي: لا يحملنك على الخفة، ويستفزنك عن دينك وما أنت عليه الذين لا يوقنون بالله، ولا يصدقون أنبياءه، ولا يؤمنون بكتبه**[1].

٣ - يتمادى البعض في منهجية المعايشة للمدعوين لدرجة فقدان هويته

---

(١) فتح القدير.

ودوره كداعية، بحجة عدم الإثقال على المدعو بالكلام الوعظي والشرعي، إذ إن ذلك سيأتي بزعمه لاحقاً... فلا يسمع المدعو حينها كلمة واحدة فيها تذكير بالله، أو نصح جميل، أو موعظة حسنة... بل مزاح ولعب وتسلية وتنّزه وتسكّع بالأسواق... وتتحول العلاقة الدعوية بينهما إلى صداقة، كأي صداقة بين اثنين، ولا يدري هذا الداعية المسكين أن المدعو ربما تساءل في نفسه «..لقد صحبتك شهوراً وسنين.. وكنت أظنك ستدعوني إلى خير وهداية، ولكنّي لم اسمع منك شيئاً... فما حقيقتك؟ هل أنت متدين حقا..؟!!».

إننا لا ندعو لان يملأ الداعية أذن المدعو صباحاً ومساءً بالمواعظ والنصائح، ولا أن يظهر أستاذيته عليه، فليس هذا من الحكمة الدعوية في شيء، ولكننا نقول للداعية لا تنسَ انك صاحب رسالة، وأنك داعية تدعو إلى الله، وأن هداية البشر تكون بدعوتهم بالقول والعمل، وأن المخالطة والمعايشة لأحوال المدعوين هي وسيلة لكسب قلوبهم، وتفتح أذهانهم، وتقبلهم للداعية، وثقتهم به. وحبهم له، كسبب للتأثير والهداية، لا أن تكون هي الغاية والمنتهى، وتصبح رفقة وصداقة يجد فيها الداعية فرصة للترفيه والمتعة...

(طاف أبو قلابة الجرمي بعض مجالس المسلمين، فرأى فيها لهواً وغيبة وهذراً، ولم يسمع فيها كلمة علم أو مواعظ أو شيئاً من الأدب والتاريخ، فقال: «**إني لأرى هذه المجالس إنما هي مناخ البطالين**»)[1].

٤ - يفهم البعض أن الانفتاح على المجتمع والعمل العام يقتضي التخفف من بعض الضوابط الشرعية للتمكن من ولوج مواقع التأثير ومؤسسات المجتمع بكافة أنواعها، ذلك أن بعضاً منها سيظل موصداً. كما يظن أولئك، إذا لم يتخفف الدعاة، ويتنازلوا عن بعض المبادئ والقيم... ويلجأوا لتسميتها بالجزئيات والشكليات، واعتبارها من المتغيرات وليس الثوابت، التي لا يضر تغييرها وتبديلها، وهذا المبدأ صحيح فإن المتغيرات تختلف عن الثوابت في ضرورتها، ودرجة التمسك بها، والحفاظ عليها، وإن التفريق بينهما من مقتضيات التفاعل والتعامل مع واقع المجتمعات ومتطلبات المرحلية الدعوية، ولكن السؤال المهم هو: من يحدد الخط الفاصل بين الثوابت والمتغيرات....؟؟

هل الاجتهادات الفردية والنظرات الشخصية أم دوائر الاجتهاد

---

(١) عبير الوعي.الراشد.

الحركي ذات الاختصاص والنظر، التي ترسم ملامح وحدود المرونة التي يتحرك خلالها الدعاة في تعاملهم مع المستجدات وواقع المجتمعات.... ؟ لاشك أنها من فتاوى الفقه الحركي الجماعي التي ينبغي أن يفتي بها فقاء الاجتهاد الحركي والعلماء العاملون، والتي هي أقرب للتقوى وأبعد عن الهوى.

إن الانتقال من وضعية «التأثير» إلى وضعية «التأثر» تشكل خَلَلاً في بناء شخصية الداعية، وتتطلب رسوخاً في البناء التربوي، وتجديداً مستمراً للإيمان، وترسيخاً لمعالم الربانية.... كما تتطلب فقهاً دعوياً أصيلاً يستمد من ينابيعه الأصلية المعتبرة.....كما تتطلب تفعيلاً دائماً للتواصي بالحق والتواصي بالصبر بين الدعاة؛ لتظل الحركة الإسلامية في موضع الهداية والريادة، ويظل الدعاة هادين مهديين.

ثانياً - التحول من مشروع الحركة إلى مشروع الأمة:

كما أن للانتقال المرحلي للحركة تداعيات وإسقاطات على المستوى الفردي والقاعدي، بالفهم والسلوك، والقدرات والمهارات والوسائل المتبعة، فإن ذلك الانتقال ينبغي أن يلقي بظلاله على المستوى الاستراتيجي لمشروع الحركة..... فمراحل التأسيس الأولى والانفتاح الجزئي كان الجهد الداخلي هو الغالب على مستوى التخطيط

والقيادة....أما اليوم فإن ريادة الحركة الإسلامية وولوجها غمار العمل العام، يحتم على القيادات والمؤسسات أن يتحول «مشروع الحركة» إلى «مشروع أمة»، وإن النجاحات التي حققت في مراحل البناء والتكوين والدعوة ينبغي أن يماثلها نجاحات اكبر في هذا التحول الاستراتيجي الهام: بأن يصبح مشروعها مشروعاً للأمة في أهدافه وغاياته...وفي مجالاته ومؤسساته....وفي أطر العمل وميادينه.... وأن المراقب ليسّجل شهادة حق في مسار الحركة الإسلامية اليوم تجاه هذا البعد في التخطيط والفكر، وإدراكاً مسؤولاً لأهمية هذه النقلة المرحلية في مسار الحركة، فمبادرات الإصلاح الوطنية، وميثاق الوحدة الفكرية للعمل الإسلامي، والمشروع العربي الإسلامي ، التي تقدمت بها الحركة الإسلامية تشهد على ذلك...

إن الانتقال من «مشروع الحركة» إلى «مشروع الأمة» يقتضي جملة من الأمور:

١ - إدراكاً عميقاً لواقع الأمة والمرحلة الحرجة التي تمر بها على مستوى الموقع الحضاري لها، وتشخيص أدوائها ومواطن الخلل وأسباب الضعف، ومواطن القوة وفي قدرتها على مواجهة التحديات التي تواجهها في وجودها... واستقلال قرارها... وتحرير مقدساتها... وحماية هويتها... وتنمية مقدارتها... واستعادة وحدتها... فإن

هذا الإدراك هو سبيل تعاظم الشعور بالمسؤولية لدى قيادات الحركة ومفكريها، للبدء في التفكير الجاد على مستوى ذلك الواقع والتعامل معه...

والمتأمل للنقلات الحضارية الكبرى التي مّرت بها أمتنا، يجد أن ذلك الإدراك كان مبعثاً لبروز القيادات التاريخية، وأخذها زمام المبادرة، ووضع الخطط الإستراتيجية لإحداث النقلة المنشودة، فهذا عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس يعود بالأمة إلى مسار الخلافة الراشدة بعد شهور قليلة من خلافته، بل إن التحرك الفاعل لإحداث تلك النقلة بدأ بعد أول خطبة له حين حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا، يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلنا على الخير ما نهتدي إليه، ولا يغتابنّ عندنا أحداً، ولا يعرضن فيما لا يعنيه**». فانقشع عنه الشعراء ... وثبت معه الفقهاء والزهاد. وفور نزوله من المنبر ومبايعة الناس له تلك البيعة المشهودة ذكر أصحاب سيرته انه باشر في إقالة الولاة الذين اشتهر ظلمهم، وعينّ من عرف بالتقوى والعلم والعدل، وكان من أقواله التي تجسد فهمه لواقع الأمة آنذاك: «**إني أعالج أمراً** كبر

عليه الصغير، وفني عليه الكبير، وحسبوه هو الدين»... فكان الناس آنذاك منشغلون بالزروع والضياع والقصور والجواري، وإذا بالأمة - بعد حكمه الذي لم يتجاوز سنتين وخمسة شهور - تصبح أمّة العدل والقرآن والفتوحات.... وهذا صلاح الدين الأيّوبي خليفة نور الدين محمود الذي يعد شبيها بعمر بن عبد العزيز في عدله وتقواه، استطاع - بفضل الله ونصره - أن يحرّر المسجد الأقصى بعد تسعين عاماً من احتلال الصليبيين له... وكان ذلك التحرير تتويجا لمرحلة من الإعداد الإيماني والسياسي والعسكري للأمة، وبداية لمرحلة تطهير الأراضي الإسلامية من الوجود الصليبي، الذي تحقق بتحرير إمارة «الرُّها» أول المعاقل الصليبية في الشام... حدث هذا بعد تشخيص لواقع الأمة... ووعي عميق بمواطن الضعف والقوة لديها... والعمل الجماعي الجاد لتقوية عوامل القوة ومعالجة أسباب الضعف، والتي تمثلت بتفرق الأمة والوجود الصليبي المستحكم والحركات الباطنية التي كانت تنخر في جسدها... فبدأ التخطيط الحكيم بضرب «العبيديين» في الشام ومصر، ثم توحيدهما تحت راية واحدة، وتجميع الأمة بعد ذلك على قضية «تحرير الأقصى»... ثم الانتقال بعد ذلك لتحرير بلاد الشام ومصر من الصليبين.

٢ - تشكيل رأي عام يشارك الحركة في مجمل تشخيصها للواقع، من المفكرين والمصلحين، والساسة والقادة، والأدباء والمثقفين، يشاركونها مسؤولية الهّم والقضية والحاجة الماسة إلى مشروع يجتمع حوله المخلصون ليكون مشروع الجميع... ومن دلالات النجاح في هذه المرحلة أن يشارك قادة الرأي على مختلف مشاربهم بتشكيل ذلك الرأي العام من منطلق أنها قضيتهم ومشروعهم، فالجميع شركاء في حمل القضية، وهذا يتطلب من الحركة أن تنتدب رموزاً ومفكرين ودعاة حازوا على ثقة المجتمع وقبوله، وأن يكون خطابها خطاباً مجتمعياً وأممياً، وأن تكون عناصره مما يجمع الأمة ولا يفرقها.

٣ - حشد القوى والمؤسسات والرموز لوضع ملامح المشروع ومساراته وأهدافه، والنجاح هنا أن يترفع الجميع عن التكسب والتحزب والمزايدة، وأن يقتنع الجميع بأن المشروع هو مشروع الأمة جميعاً يتكافل الجميع لحمله ويتعاونون لتحقيقه.

٤ - ليتحول المشروع إلى واقع وعمل ينبغي أن تنشأ مؤسسات ومجامع على مستوى الأمة، ويلتقي الموجود منها على كلمة سواء للانتقال بالمشروع إلى الترجمة والفعل والتحرك على كافة المستويات، وهذا

يقتضي من الحركة توظيفا لعلاقاتها الإسلامية واتصالاتها مع المؤسسات العربية والإسلامية وإقناع الرموز البارزة؛ ليكون لها دور الريادة والقيادة للمشروع.

إن من الصور المشرقة اليوم في التقاء النخب الفكرية والسياسية على مشروع للأمةّ إنشاء «**مؤسسة القدس الدولية**» التي جمعت العرب والمسلمين على مختلف انتماءاتهم ومذاهبهم على قضية الأمة وهي القدس، وتواصلت جهودها في حشد طاقات الأمة ممثلة برموزها ومنظّماتها تجاه هدف تحرير بيت المقدس من الاحتلال الصهيوني، وعقدت مؤتمرات عدة لتنظيم الجهود وتفعيل الطاقات وتنفيذ المشروعات في أرض الواقع، وهي ترتقي يوماً بعد يوم في طموحاتها وإنجازاتها.

ثالثاً - استيعاب الآخرين:

كان الأقرع سيد خندف في صدر الإسلام، قدم على الرسول ﷺ مع وفد بنى تميم مع عطارد بن حاجب بن زرارة، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وغيرهم من زعماء وسادة بنى تميم فلما قدموا المدينة قال الأقرع: «**يا محمد إن حمدي زين ،وان ذمي شين**»...

فأجابه ﷺ: «ذلكم الله سبحانه وتعالى ،فماذا تريدون ؟».

قالوا: «نحن ناس من تميم ، جئنا بشاعرنا وخطيبنا؛ لنشاعرك ونفاخرك». فقال ﷺ: «ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ، ولكن هاتوا»... فقال الأقرع لشاب منهم وهو عطارد: «قم يا عطارد فاذكر فضلك وفضل قومك... وخطب عطارد فأبهر، وأجابه ثابت الأنصاري»، وبعد الخطب وإلقاء القصائد قال الأقرع: «إني يا محمد، والله لقد جئت بأمر ما جاء له هؤلاء ، وقد قلت شعراً فاسمعه:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا
إذا خالفونا عن ذكر المكارم
وأنا رؤوس الناس من كل معشر
وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال الرسول ﷺ: « قم يا حسان بن ثابت فأجِبْه»... فقام حسان، وانشد شعراً أفضل من شعر بنى تميم، فقام الأقرع، وخاطب أصحابه قائلاً: «يا هؤلاء: ما أدري ما هذا الأمر ، تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن قولاً، ثم دنا من النبي ﷺ وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله»... فقال ﷺ: «لا يضرنا ما كان قبل هذا»... فتأمل كيف استوعب الرسول ﷺ أولئك القوم في رغبتهم في التفاخر خطابة وشعراً، فلم يصدّهم أو

ينهرهم، أو يبادرهم بتلاوة القرآن، أو إلقاء موعظة، بل سايرهم في طلبهم وأدخل الإسلام في قلوبهم من المدخل الذي أرادوه، ومن الباب الذي فتحوه.....

إن المتأمل في هذا الموقف ليدرك المعنى الذي نصبو إليه، فالداعية الموفق من أدرك أن الناس ليسوا سواء في قدراتهم واستعداداتهم النفسية، وقبولهم للانخراط في سلك الحركة، ومبايعتها على السمع والطاعة..... بل هم في درجة الخيرية مذاهب شتى منهم سريع الاستيعاب لرسالة الحركة، سريع الاستجابة لدعوتها له بالانخراط في صفوفها،

ومنهم سريع الفهم بطيء الاستجابة..... ،

ومنهم المؤمن بالرسالة ولكنه يريد الوقوف عند حدود النصرة والتأييد...،

ومنهم من ينافح عنك، ويؤيدك غيرة وحباً، ولكنه لا يطيق الالتزام.....

ومنهم من يرضى مشاركتك في بعض المشاريع الإسلامية ويؤدي فيها دوراً فاعلاً...

ومنهم من يناصرك في المعترك السياسي والجولات الانتخابية....

- وهذا التمييز والتفهم لتفاوت القدرات والقابليات أصبح من متطلبات الحكمة الدعوية في المرحلة الحالية، لكي يحقق الداعية قدرة الاستيعاب لتلك الفئات.... فالحركة اليوم مع اتساع مسؤولياتها وتنّوع مشروعاتها تحتاج لطاقات هي أضعاف ما تملكه، ولا يتحقق ذلك إلا بقدرات حكيمة من الدعاة لاستيعاب الفئات المختلفة من الجمهور....

- وهذا الاستيعاب ينبغي أن يكون منهجيا وليس عشوائياً، بمعنى أن يسمى لكل فئة أفرادها، وطرق التواصل معهم، وأسلوب تفعيل مشاركاتهم... فتكون للدعاة سجلات لدوائر المؤيدين والمحبين والمشاركين، وعندها تكون الحركة قد أحيطت بدوائر من الطاقات المساندة، تدعمها بمزيد من الفاعلية والتأثير... كم من تلك الطاقات اليوم قد حرمت منها الحركة نتيجة عدم الأخذ بهذه المنهجية من المرونة والاستيعاب....

- **ولو تفحصنا الأسباب التي أدت إلى ذلك الحرمان لوجدنا أن أهمها يتمثل في:**

١ - النمط السائد الذي تربّى عليه مجموع الدعاة إرثاً عن مرحلة التكوين والتأسيس والتوسع الدعوي... حيث كان الاتصال الدعوي ذا غاية واحدة وهي انتظام المدعو في سلك الحركة

الإسلامية، ومن لا يصلح للانتظام فانه غالباً ما يهمل، وهذا النمط قد قولب أولئك الدعاة وأجيالهم اللاحقة على أسلوب في التواصل الدعوي... ونمط متفحص في تقييم المدعوين.... وتركيز في التربية... ونموذج نمطي لمن يتم قبولهم للحركة.... وطرائق محددة من التعامل.... وأساليب محدودة في الاتصال الفردي، مما يشكل صعوبة في عملية التغيير المطلوبة منهم في ذلك كله.

٢ - البعض من الدعاة والمربّين لا يزال يتخّوف من سلبيات الانفتاح، ومن اشتراك أناس في العمل الإسلامي وهم ليسوا بالمستوى الإيماني الذي يؤهلهم لذلك، ويفهم أن نقاء الصف الدعوي وصلابة قاعدته أساس في التوفيق والنجاح، لذلك فإن التركيز على النخبة من المدعوين لا يزال هو النمط السائد لديهم في التواصل الدعوي.

٣ - والبعض مقتنع بأهمية توسيع دوائر الاتصال الدعوي ومتفهم لوجوب تعدد تلك الدوائر، ولكن خبرته وقدراته السابقة في الاتصال الفردي لأجل الانتظام تحكم سلوكه فلا يتقن مهارة الكسب الدعوي للتأييد ... وللمناصـرة ... وللمساندة ...

والمشاركة الجزئية وربما وجد صدوداً من بعض المدعوين تفقده الثقة بهم أو بنفسه فلا يستمر في هذا المسلك المطلوب.

٤ - آخرون يأخذون بمبدأ التوسع في التواصل الدعوي واستيعاب الآخرين، ولكن ممارستهم العملية تفتقر للمنهجية والتخطيط السليم الذي يحقق النجاحات المتراكمة والتوسع في الدوائر بشكل ملموس... وتقويم مستمر... وقياس لمؤشرات رقمية للنجاح، بل تقوم على العشوائية والعفوية والاتصال اللحظي المؤقت.

إن استيعاب الآخرين مبدأ هام لنجاح الحركة، ومسلك حكيم ينبغي أن يتقنه الدعاة اليوم، ويعتبروه منهجاً راسخاً وأصيلاً في خطط التواصل الدعوي، يقوم على التخطيط السليم... والتحديد والتقويم المستمر... وفق أهداف واضحة... ومؤشرات رقمية للنجاح واستمرار صبور.... وقدرات ومهارات تحقق فاعليته وكفاءته.

رابعاً - الانفتاح والهوية:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨] ، قال المفسرون: هي دين الله. إن اعتزاز الداعية بهويته الدعوية وانتماءه الحركي قيمة جليلة ومسلك قويم، يحقق له في قلوب الناس مزيداً من الثقة... والمصداقية... والقبول. وفي مرحلة الانفتاح تشكّل «**علنية الانتماء**» قضية ملحّة لدى الناس، ومطلباً هاماً لدى الدعاة، وأي تردد أو غبش في تعامل الدعاة معها يتسبب في تراجع للثقة، واهتزاز في المصداقية ودخول في مساجلات للدعاة كانوا في غنى عنها. ربما كان لإعلان الهوية الحركية للداعية سلبيات على حسب طبيعته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والوظيفية... ولكن من المؤكد أن لها في المقابل إيجابيات ومكاسب في تلك المجالات وغيرها، وإزاء هذا التنوع في الأثر ربما قام البعض بالتنوع في تعامله مع تلك القضية والتناغم مع وقع الإيجابيات والمكاسب المتحققة منها، فإن كانت الهوية بالنسبة له مصدر قوة سياسية وكسب انتخابي وفرصة وظيفية وحظوة لدى أصحاب النفوذ، أعلنها بملء فمه، وصدح بها صباح مساء... وإن كانت الأخرى توارى من القوم من سوء ما بشّر به أيمسكه على هون أم يدسه في غياهب السرية..، لقد جاء حديث الطائفة المنصورة ليشير إلى سمو الانتماء للحق... وصلابة التمسك به... وشرف الانتساب إليه، فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين**

على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» - رواه مسلم - وجاء في تفسير «ظاهرين» : أنهم قد أظهروا هذا الحق الذي آمنوا به وتمسّكوا به وأعلنوه، مستعلين به على غيرهم ممن خذلهم فلم ينصرهم وممن خالفهم ولم يؤمن بما آمنوا به.

إن إعلان الداعية لهويته ليست وسيلة من وسائل الكسب السياسي والإعلامي تقاس بمقياس الكسب والخسارة، بل هي مبدأ مرتبط بإيمان الداعية برسالته... وتمسكه بغايته... وثقته بمنهجه... وإخلاصه لله تعالى في انتمائه وصفاء نيته...، فهي قيمة جليلة وسلوك رباني قويم، يبعث الطمأنينة والثقة والاعتزاز في نفس الداعية، وهذا له أثر واضح في فاعليته ونشاطه وحركته، كما أنه مبعث الاحترام والتقدير والقبول من الناس.

خامساً - الفكرة والحركة: من يحمل الآخر.... ؟:

ليس السؤال من قبيل الجدليات والافتراضات....بل إن لتحديد الإجابة الواضحة آثار في الممارسة العملية والتخطيط الدعوي والمنهجية الفكرية.... فالحركة الإسلامية حركة عقيدة وفكر ومبادئ ومرجعية، وليست تجمعاً سياسياً تجمع أعضاؤه لبرنامج سياسي، أو تجمعاً نقابياً لتحقيق مطالب مهنية وفئوية.... لهذا فإن موقع الفكرة هو في صميم

بناء الحركة وفي سويداء قلبها النابض وبؤرة تفكيرها المنهجي والتخطيطي... وتعد قضية رسم العلاقة التفاعلية بين الفكرة والحركة بصورة دقيقة من أهم القضايا المنهجية التي ينبغي أن ترسّخ وتتجدد وتتفاعل في قلوب الدعاة خلال مسيرتهم الدعوية.

• **فالفكرة إذا لم تحملها حركة** تؤمن بها إيماناً عميقاً... يستنفر طاقاتها ويشحذ همم قياداتها وأفرادها... فيحملوها مشروعاً يعمل في واقع المجتمع، وينقله إلى ربوع رسالتها... ويوجهه إلى سمو غاياتها.... ويسلك به جميل منهجها.... فستظل في العقول والسطور، ليس لها في الواقع أثر ملموس، كما بيّن سيد قطب رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] فقال رحمه الله: «**إنّ هذا الدين منهج حركي، لا يفقهه إلا من يتحرك به؛ فالذين يخرجون للجهاد به هم أولى الناس بفقهه؛ بما يتكشّف لهم من أسراره ومعانيه؛ وبما يتجلّى لهم من آياته وتطبيقاته العملية في أثناء الحركة به.... أما الذين يقعدون فهم الذين يحتاجون أن يتلقّوا ممن تحركوا، لأنهم لم يشاهدوا ما شاهد الذين خرجوا؛ ولا فقهوا فقههم؛ ولا وصلوا من أسرار هذا الدين إلى ما**

وصل إليه المتحرّكون وبخاصة إذا كان الخروج مع رسول الله - ﷺ - والخروج بصفة عامة أدنى إلى الفهم والتفقه....»[1].

• **والحركة إذا لم تحمل الفكرة:** كانت حركة جوفاء لا رسالة لها ولا غاية....لا فكر يوجه طاقاتها... ويحدد مسارها.... ويملأ دعاتها بخطاب دعوي زاخر بالقيم والمبادئ والسلوك الرشيد... وهي بذلك تفقد سّر وجودها ووقود شعلتها، وتتحّول حركة أعضائها إلى تحركات حزبية مجردة، سرعان ما يتساءلون: من نحن؟... ولماذا نتحرك؟... وماذا نريد؟.... والى ماذا ندعو؟.

• **إذا لم تحمل الحركة مضمونها العقائدي والفكري فقد فقدت هويّتها**... وأساس وجودها... ومبرر نشاطها، وتصبح أدوات التحرك والنشاط والفاعليات أهدافاً تبتغى لا وسائل تتخذ لغايات سامية... يتصل الدعاة عند ذاك بالناس اتصالاً اجتماعياً لإشباع غريزة الاجتماع والمؤانسة وتحقيق الذات وإشباع الحاجات، في نشاط بشري متواصل دون مضمون أو فكرة أو رسالة... (**تشير مصادرنا التاريخية أن عقبة ابن نافع لما وصل إلى المحيط الأطلسي في حركة الفتوحات الإسلامية للشمال الأفريقي وقف على شاطئ المحيط الأطلسي وقال: «يا رب لولا**

---

(١) في ظلال القرآن – سورة التوبة١٢٢.

هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بالله حتى لا يعبد أحد من دونك..... ثم وقف ساعة ثم قال لأصحابه: ارفعوا أيديكم، ففعلوا.... فقال: اللهم لم أخرج بطراً ولا أشراً وإنك لتعلم أنما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين، وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء.... اللهم إنا معاندون لدين الكفر.... ومدافعون عن دين الإسلام..... فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام» ثم انصرف راجعاً)[1].

هكذا فتحت جيوش المسلمين مشارق الأرض ومغاربها، عندما حملت فكرة الهداية الإيمانية والرسالة الإسلامية والغاية الربانية، فكانوا هداة مهديين، وقادة فاتحين، فتحت لهم القلوب والأبصار قبل البلدان والأمصار.

● **والفكرة تحمل الحركة:** فبحسب أصالة الفكرة وشرعيتها، وبحسب سّمو غاياتها ومبادئها، وبحسب ربانية منهجها وطريقها، تستمد الحركة شرعيتها ومصداقيتها وأسباب قوتها ووضوح رؤيتها. كما يستمد أفرادها أصالتهم الشرعية، وتربيتهم الإيمانية ومنهجهم الدعوي، وسلوكهم الأخلاقي وغايتهم السامية وأهدافهم الحركية.

---

(١) الدولة الأموية ص ٣٧٧ – د. علي الصلابي.

- **ومن مظاهر الانفصام بين الفكرة والحركة:**

* تذبذب الخطاب الدعوي للحركة، واختراق مضامينه بجواذب الحداثة والعولمة المجردة من القيم والمبادئ تارة، وبالسطحية والواقعية المجردة من الثوابت والأصول تارة أخرى، وبذلك يفقد الخطاب أصالته وشرعيته... ومن ثمة قبوله وتأثيره.

* تفتقد الوسائل والفاعليات لمضامين الرسالة وعناصر الفكرة، ويتم التعامل مع قضايا المجتمع بتجريد وخواء فكري دون ربط للواقع برسالة الإسلام وحيويته وفاعليته.

* تظهر الحركة وكأنها كأي حركة سياسية أو جماعة حزبية لا يرى المجتمع في حركتها وطرحها وخطابها مضموناً إسلامياً، فيتشككون في إسلاميتها، وربما أطلقوا عليها وصف» الإسلامية الليبرالية»...!.

• إن وضوح الفكرة ... وتـجذّرها في بناء الحركة الإسلامية ومؤسساتها وفعالياتها... وفي قياداتها وأفرادها في مرحلة الانفتاح والعمل العام، أمر لازم ومتطلب هام... تؤكد الحركة من خلاله مصداقيتها... وترسخ وجودها... وتستمد شرعيتها... وتواصل نجاحاتها، وهذا يعني بذل المزيد من الجهود لرفع مستوى الفكر والثقافة والعلم لدى أفرادها، ومزيد من الاهتمام ببناء المؤسسات التي ترعى تلك الجهود، والفاعليات التي تنشّط العطاء الفكري لأفرادها.

سادساً - قيادة الجمهور أم الانقياد له...؟:

ورد في المراجع التاريخية أن:

أهل الشام وبني أمية لما رأوا قوة ابن الأشعث في ثورته ضد الحجّاج (من عام ٨١ - ٨٣ هجرية) أشاروا على عبد الملك بعزل الحجاج، وقالوا: إن كان إنما يرضي أهل العراق أن تنزع عنهم الحجّاج فانزعه عنهم، تخلص لك طاعتهم، فإن عزله أيسر من حربهم... فبعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان بالجيش إلى العراق، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم، وأن يجري عليهم العطاء، وأن ينزل ابن الأشعث أي بلد شاء من العراق ويكون والياً..... ولكن من حسن حظ الحجاج أنه لما عرضت الفكرة على أهل العراق رفضوها بقوة، مع أن ابن الأشعث قبلها وحثّهم علي قبولها، لكنهم لم يوافقوه، بل جدّدوا خلع عبد الملك، وظنوا الفرصة قد واتتهم للتخلص من الحكم الأموي....وكان الأولى بابن الأشعث أن لا ينساق لما تطلبه الجماهير، فقد ضاعت فرصة كبيرة في التخلص من الحجّاج، وكان يمكنهم رفع سقف المطالب والضغط على عبد الملك حتى يستجيب لرفع المظالم، وإقامة العدل، والتقيد بالكتاب والسنة وإن انحرف عن شروطهم أمكنهم بعد ذلك عزله[1].

---

(١) الدولة الأموية ص ٦٤٢ - د. علي الصلابي.

• إن قيادة الجماهير مسؤولية تضاف لأعباء ومسؤوليات الحركة الإسلامية في مرحلة الانفتاح، وهي متطلب لازم لنشر الفكرة الإسلامية، وتوسيع دائرة المطالبين بها... وتشكيل رأي عام ضاغط ومطالب بتحكيم شرع الله تعالى، والحفاظ على القيم وحماية هوية المجتمع من تيارات التغريب والعولمة...وهي تشكل تحدياً كبيراً للحركة في قدرتها على القيادة والاستيعاب والتأثير والتوجيه، كما أنها تضيف تحدياً واقعياً في قدرتها على الموازنة بين متطلبات تلك القيادة ومسؤولياتها المتمثلة في الدفاع عن المطالب الاجتماعية والمعيشية والسياسية التي تطمح لها الجماهير... كما أنها تشّكل ضغطاً كبيراً على القيادات الشعبية والسياسية للحركة الإسلامية للتمسك بمبادئ ومواقف وأهداف الحركة... وتتعاظم المسؤولية وتتشابك العقدة حين تتعارض تلك المطالب مع المبادئ أو المواقف أو الأهداف التي تتبناها الحركة، وتصبح تلك القيادات أمام ضغطين كبيرين، ومعادلة معقدة وموقف حساس، يقتضي قدراً كبيراً من الحكمة والنظر، لتظل الحركة قائدة للجماهير لا مقادة لها..... فإنها إن استسلمت للخيار الثاني وارتضت أن تتخلى عن القيادة الحقيقية للجماهير... إلى القيادة المتوهمة التي تنّزلها إلى قيادة الشارع لها باتّباعها لطلباته وضغوطاته، فإنها بذلك تكون، فعليّاً، قد تخلت عن رسالتها... وخدشت مصداقيتها... وانحرفت عن أهدافها.

● لقد حذّر القرآن النبي ﷺ من المَيْل لما يطلبه الكفار؛ وذلك لعظيم شفقته عليهم، وكبير حرصه على هدايتهم، ورغبته في إسلامهم، فقال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٤] وقوله: ﴿ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دعوك إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك إذاً لأنفسهم خليلاً، وكنت لهم وكانوا لك أولياء . (الطبري) .

● عادة ما يشكّل السياسيون ونواب البرلمان وأعضاء النقابات عناصر الضغط داخل الحركة باتجاه المطالب الجماهيرية والشعبية، لما تسبّب لهم تلك المواقع من ضغوط متواصلة تهدّد تمثيلهم ومواقعهم إن لم يتجاوبوا معها...

فهل تظل الحركة في تلك الدائرة من التجاذب بين الضغطين...؟

وكيف لها أن تضع المعادلة المتوازنة التي تتمسك بالثوابت الحركية وتراعي المطالبات الجماهيرية وتتفهما...؟

إن من الأمور التي تعين على تحقيق تلك الموازنة المنشودة:

١ - حسن الاختيار ابتداءً للعناصر التي تمثّل الحركة في المجالس

النيابية والنقابية... ممن تشّربت قلوبهم إيماناً برسالة الحركة وتمسكاً بمبادئها... وامتلأت عقولهم فهماً لمنهجها... وقلوبهم فقهاً لغايتها وأهدافها... وممن صقلت التربية الربانية شخصيتهم فلا تصرفهم الضغوط والمغريات عن صفاء النية... ونقاء السريرة... وثبات الموقف والتعلق بما عند الله جل وعلا... والترفع عن مغريات المناصب وفتن الشهرة...

فإن هذا الانتقاء الحسن يقي الحركة مزيد عناء وكثير جدال في إحكام الموازنة المنشودة لاحقاً... أما إذا تصدى للأمر من لم تتوفر فيه تلك الموانع، فإن الإلحاح والضغوط الداخلية على مراكز القرار في الحركة، والتململ من القرارات التي لا توافق رأيه والتمرد عليها، والاستسلام للمطالب الشعبية ستكون مواجع للحركة ومصدر قلق.

٢ - توثيق السياسات والأهداف والضوابط التي تضبط مسار العمل العام، والوعي بها من قبل العاملين في تلك الميادين، أمرٌ يساهم في الوقاية وتقريب وجهات النظر، فإن السياسات ينبغي أن تكون حاكمة للقرارات... والضوابط تكون ضابطة للآراء.

٣ - العمل وفق موازنة: «نتمسك بالمبادئ الحركية، ونتفهم المطالب

الشعبية»... فالمبادئ لا تنتهك، ولا يتجاوز عليها تحت الضغوط الشعبية، والمطالب الجماهيرية ينبغي أن تتفهم من قبل الدعاة، وتوزن بميزان المبادئ....

ومن الموازين التي ينبغي أن توزن بها المطالب الشعبية:

* **المشروعية:** بأن لا تتعارض تلك المطالب مع قواعد الشرع وأحكامه، ولا تتعارض وسائل المطالبة بها كذلك مع الشرع.

* **العدالة:** وهي من المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية، ومن المبادئ التي تعمل لها وبها الحركة الإسلامية، فيبغي أن تتحرى العدالة عند تبني تلك المطالب.

* **مراعاة المصالح الأهم للأمة:** فلا يصح أن ينادى بمطالب تهدر مصالح أكبر منها للأمة، أو تتسبب في مفاسد أعظم من المصالح المرتجاة منها، فدرء المفسدة أولى من جلب المصلحة كما قرر علماء أصول الفقه.

٤ - الارتقاء بوعي الجمهور، وترسيخ الموازين الشرعية سبيل وقاية هام، قد لا ينهي المطالبات الشعبية غير المتوافقة مع الشرع، ولكنه يخفف من قبولها وامتدادها، ومن ضغطها بعد ذلك على الحركة.

٥ - العناية بإعلان المبررات الشرعية والمبدئية للحركة في المواقف العامة التي تتخذها أنفع من ذكر الموقف مجرداً من أي تبرير وتأصيل يوطئ القبول لها، ويسمح لأعضائها بالدفاع عنها وبيان خلفية موقفها.

سابعاً - بين النخبوية والشعبية:

لا يعني الاصطفاء وحسن الاختيار لاستقطاب أعضاء الحركة ومناصريها نظرة فوقية أو استعلاءً طبقياً... بل المقصود أن القاعدة الشرعية التي قامت عليها الحركة الإسلامية أيام تأسيسها وتكوينها اقتضت انتقاء العناصر القادرة على تحمل أعباء الدعوة، والنهوض بها قدماً وفق سنّة الله عز وجل في بناء وقيام الحركات الإصلاحية بإعداد القاعدة الصلبة التي يقوم عليها بناء الحركة، والتي تقتضي حسن الاختيار وجودة الاصطفاء ممن يتحلّى بصدق الصلة بالله والالتزام الشرعي والشجاعة والأمانة، والوفاء والذكاء، والمروءة والكرم، والتواضع والطاعة.... فسّنة الله تعالى تقّرر أنّه على قدر رّبانية الدعاة والمنهج يكون التوفيق والسداد والرعاية الربّانية للحركة..... قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ

قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨] .

وهذا ما يبرر النخبوية في استقطاب الحركة لعناصرها... وهي نخبوية قيم وأخلاق ومبادئ..... وليست طبقية عرقية أو فئوية اجتماعية أو نخبوية اقتصادية وعلمية...ومما لا شك فيه، إن ذلك المنهج الاصطفائي أسبغ على طرق التخاطب والتعامل وأساليب التعايش للدعاة مع بعضهم البعض ومع غيرهم سمتاً معيناً، استمرت آثاره لسنين طويلة، لم يسهل عليهم التبديل والتغيير لأنماط أخرى من التعامل مع الغير والاستقطاب والاستيعاب بشروط ومواصفات مخفّفة عما سبق، تقتضيها مرحلة التوسع العددي والانتشار الشعبي والعمل العام، والتي توجب على الحركة أن تتعامل مع المجتمع كحركة شعبية تستوعب أعداداً أكبر مما كانت تستوعبه في مراحلها الأولى... وإلا فإنها لن تستطيع أن تتعامل مع استحقاقات هذه المرحلة... وربما أصابها ما يشبه (انفصام الشخصية) وصراعاً داخلياً ما بين شخصيتها التي ينبغي أن تكون عليها وتلك التي كانت عليها... ومما يزيد الأمر تعقيداً: التخّوف الذي ينادي به التربويون المتمسكون بمنهجية «**القاعدة الصلبة**» **من أخطار** «**التكاثر لا التركيز**»... **وأضرار** «**الغثائية**»...

ومفاسد «سوء الانتقاء» على مسيرة الحركة ووجودها من جهة، والانفتاح غير المنضبط الذي ينادي به دعاة الشعبوية والانفتاح من السياسيين والنقابين، من جهة أخرى، بفتح باب الانتساب للجميع... وإلغاء شروط التدرج التنظيمي... وفتح الباب على مصراعيه لاختيار قيادات العمل... حسب ما تفرزه الانتخابات الداخلية للحركة...؛ لتكون الحركة بذلك «وقفاً» للمسلمين، ليس لأحد عليها سلطة ولا فضل، وإلا فستظل الحركة تراوح مكانها وتتآكل من داخلها، على حدّ قولهم...

إن الموازنة بين حسن الانتقاء للأعضاء والتوسع..

والوسطية بين النخبوية والشعبوية...

وحسن التدرج في التوسع في استقطاب عناصر الحركة.....

هو السبيل الأقوم والمجّرب لسلامة البناء وفاعلية النماء....

إذ إن الأخذ بأحد النقيضين المذكورين لن يحقق الفاعلية والأمان والنماء للحركة.....ويؤكد ما ندعو إليه:

* إن التعامل مع سنن الله تعالى واجب لا يمكن تجاوزه أو المخاطرة بتجربة غيره.... فسنن الله تعالى نافذة وحاكمة وثابتة لا تتحّول ولا تتبّدل....قال جّل وعلا: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ومن سماتها أنها

ثابتة لا تتغيّر... مستمرة لا تتحول... حاكمة لا محكومة... عامّة وليست خاصة... نافذة لا يمكن تجاوزها.

ومن تدبر في مسيرة الأمة الإسلامية وتاريخها صعوداً وهبوطاً، يجد هذه الحقيقة واضحة وجليّة... فما حدث، على سبيل المثال، من هزيمة للمسلمين في» أحد» كان بسبب مخالفة أمر النبي ﷺ بعدم النزول من جبل الرماة، وقد تكررت الأسباب ذاتها بعد مائة عام، في هزيمتهم الأليمة في معركة بلاط الشهداء في «بواتييه» بفرنسا بقيادة القائد المجاهد عبد الرحمن الغافقي.... حين انصرفت طائفة من الجيش إلى الغنائم التي حازها الجيش الإسلامي في فتوحاته للأراضي النصرانية وتوغّله في فرنسا، ولم تلتفت تلك الطائفة لتحذيرات قائدها وإرشاداته بعدم ترك ميدان المعركة، فكانت الهزيمة المؤلمة التي كادت أن تبيد الجيش المسلم....

لهذا ينبغي ألا يشّكل الواقع، والرغبة في التوسع، ضغطاً يدفع لتجاوز تلك السنّن التي ينبغي أن تراعى في منهج العمل الحركي وسياساته... وتلك وصية الإمام البنا رحمه الله حين قال: «ولا تصادموا نواميس الكون فأنها غلّابة، ولكن غالبوها... واستخدموها... وحوّلوا تيارها.. واستعينوا ببعضها على بعض... وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد»[1].

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس.

* سيرة المصطفى ﷺ والخلفاء الراشدين، تشير - وبوضوح - إلى أن العصبة المؤمنة في المدينة ظّلت تّشكل القلب النابض للأمة بالرغم من توسع حركة الفتوح وانتشار الإسلام.... ومعلوم حرص عمر بن الخطاب على إبقاء ثّلة من الصحابة عنده في المدينة، ما كان يأذن لهم بالخروج عنها لأنهم يشّكلون له القيادة الأكثر صفاءً... والأعمق إيماناً.... والأوسع فقهاً... وتلك هي القادرة على قيادة جماهير الأمة.

* عند تحليل أسباب النجاح والنصر والتمكين للحركات الإسلامية عبر التاريخ القديم والمعاصر، نجد أنّ التوازن كان منهجاً واضحاً لديها في تحقيق نجاحاتها، بعد أن استكملت جوانب القوة المعنوية والمادية والعلمية، فلم تحتفظ بنخبويتها طوال عهدها ولم تتخلّ عن الاصطفاء وحسن الاختيار والإعداد المحكم لقادتها وجنودها، فعهود التمدّد والاستقرار خلال الفتوحات الإسلامية للشمال الإفريقي، وحركة نور الدين محمود وصلاح الدين في تحرير القدس والأراضي العربية من الوجود الصليبي، ونجاح المرابطين في تأسيس دولتهم وصّد التقدم النصراني عن الأراضي الأندلسية، وضّمها بعد ذلك للدولة المرابطية، وحركة محمد بن عبد الوهاب، وحركة الإخوان المسلمين، ونجاحات حركة حماس اليوم، جمعيها تؤكد صواب منهجية الموازنة.

* الجمع بين مصالح كل رأي هي الحكمة المنشودة، وكما هي منهجية الفقهاء في البدء بعملية الجمع بين الأدلة قبل النظر في الترجيح، فإن جمع المحاسن والمصالح المعتبرة لكل رأي هو الأولى بالأخذ والإتباع....وهذا هو مقتضى الموازنة ومؤداها.

ماذا تعني الموازنة بين النخبوية والشعبية.....؟؟:

تعني: أن الانتقاء والتربية للعناصر التي تتولى قيادة الحركة وقيادة الجماهير، عملية هامّة لا يصح أن تتوقف... فإن منهجية توريث القيادات وتوريث المنهج بأصالته... وربانيته... ومرونته، سبيل لاستبقاء عناصر الفضل والخيرية... واستمرار عناصر النقاء والقوة التي تحقق مصداقية الحركة، وتستجلب التوفيق الرباني، ويتم ذلك باستمرار جهاز التكوين والتربية وبناء القيادات القادرة على تحقيق الموازنة... مع اعتبار تطور الحركة وتقدمها في إعداد الوسائل والآليات بشرط نقاء المضامين والقيم... ومن جهة أخرى فإن التوسع العددي وفتح أبواب الاستقطاب والاستيعاب للجماهير ينبغي أن يأخذ تمدّده الطبيعي بتوسع لا يشترط فيه ما كان مشروطاً أيام التكوين والتأسيس، بل بشروط تضمن الحد الأدنى من الاستقامة، وبقدر متزايد من التأييد

للفكرة والحركة، ويكون لهذا الخط مؤسساته... ورجاله... وشبابه... ونساؤه، بلا تعارض بين الخطين، بل بسير متوازن تحمله المصالح المرتجاة والعقول القيادية المرنة القادرة على استيعاب هذه الموازنة الحكيمة.

ثامناً - الرموز الدعوية:

الرموز هم الدعاة من ذوي الظهور العام على المجتمع، من خلال منابر شرعية، أو إعلامية، أو اجتماعية، أو سياسية، وهم بهذا الوصف والتأثير يشكلون منابر للحركة الإسلامية، قد يفوق تأثيرها العام تأثير بعض المؤسسات الدعوية... كما يختصر امتداد تأثيرهم المسافات والأوقات والمراحل، ويدفع بعجلة التأثير الحركي بشكل متنام ومتوسع... فهم القدوة التي يسمع لها الجمهور... ويترقبون رأيها... ويرقبون مواقفها... وينصتون لتوجيهاتها... ويحاكون سلوكها.

• ولعظم أثر الاقتداء كان القدوة الأولى للأمة هو رسول الله ﷺ كما أمر ربنا جلّ وعلا وأراد بقوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. **قال أهل التفسير: «الأسوة: القدوة، والأسوة ما يتأسى به أي تعزى به**

فيقتدي به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله، فلقد شجّ وجهه، وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة، وجاع بطنه، ولم يلف إلا صابراً محتسباً وشاكراً راضياً » - القرطبي - كما أشار القرآن للأنبياء في موضع الاقتداء بهداهم، فقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، قال القرطبي في تفسيره: «هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، وإتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك، فبهداهم اقتده، يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم، اقتده، يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضى، ومنهاج من سلكه اهتدى ».

● لقد كان العلماء والفقهاء هم الرموز والقدوات في الصدر الأول.... ثم انضم المصلحون والقادة المجاهدون لتلك الثّلة مع تقدم حركة الفتوح والتوسع الإسلامي.....وبرز القضاة والأدباء والساسة، كما برز في كل فن من الفنون رجاله ورموزه، يدرك كل منهم أثره وتأثيره، **ومما يحكى من سيرة الإمام أحمد بن حنبل وهو ممتحن في محنة خلق القرآن: ما قاله أبو جعفر الأنباري: لـمّـا حُـمِلَ الإمام أحمد بن**

حنبل إلى المأمون أُخْبِرتُ فعبرتُ الفُرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمتُ عليه، فقال: يا أبا جعفر تعنَّيْت ؟ فقلتُ: ليس هذا عناء.

وقلتُ له: يا هذا أنت اليوم رأس الناس، والناس يقتدون بكم، فو الله لئن أجبتَ ليُجيبُنَّ بإجابتك خلقٌ كثير من خلقِ الله تعالى، وإنْ أنتَ لم تُجِبْ ليمتنِعَنَّ خلقٌ مِنَ الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إنْ لم يقتلك فإنَّك تموت، ولابدَّ مِنْ الموت، فاتَّـقِ الله ولا تُجبهم إلى شيء.

فجعل أحمد يبكي ويقول: «ما شاء الله، ما شاء الله». وقد حفظ أحمد بن حنبل الموعظة، فحين اشتدت عليه الفتنة، وعظم عليه الابتلاء، جاءه من يخفّف عليه عبء المسؤولية وثقل الأمانة، ويطلب إليه أن يحفظ نفسه من الهلاك تحت وطأة التعذيب ويجيب القوم بشيء مما يطلبون، فرّد عليه الإمام وقال: «انظر من الشرفة، وقل لي ماذا ترى»... فنظر الرجل وإذا بجموع من الناس وقد أمسك كل منهم بقرطاس وقلم ينتظر ما يقول الإمام أحمد « فقال الإمام للرجل: «أأنجو ويضل هؤلاء..؟... ومن هنا ندرك ما للرمز من دور هام في مسيرة الحركة.

- ومما يستلزم استمرار الأثر الفاعل للرمز أمورٌ عدة:

١ - الاستشعار المستمر والاستصحاب الدائم لأمانة التمثيل ومسؤولية الرمزية عن الحركة الإسلامية...

وهذا يقتضي من الرمز رقابة ذاتية، ومراجعة مستمرة لمدى الالتزام بالمبادئ... والقيم... والأهداف... والمنهج...

وتقديم الـمصلحة العامة للدعوة على الـمصالح الشخصية والمكاسب الآنية...

ومن الأمثلة الناصعة في التاريخ الإسلامي على ما تحلّى به بعض القادة بحمل هّم الأمة، وتقديم مصلحتها على النفس، ما ورد عن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين قائد المرابطين في الأندلس، حين خاض المسلمون بقيادته معركة «البكار» مع النصارى في ارض الأندلس في شهر ذي الحجة عام ٥٢٨هـ... فقد باغت النصارى جيش المسلمين بكمين، ودارت معركة حامية الوطيس كانت الدائرة فيها على المسلمين حتى تراجع معظم الجند... وكاد جند النصارى أن يصلوا لتاشفين ففزع إليه أحد قوّاده، وطلب إليه أن يتراجع ليكون في مأمن، ولا تنكب الأمة به... فردّ عليه بقلب ثابت.... ونفس عزيزة... وشعور عظيم بالمسؤولية عن الأمة، وقال له: «**لا أَسْلَمُ وأُسَلِّم الأمة... ولا أبرح حتى تنجّلي هذه الكرة....لن أهرب وأترك العامة لتضيع**»، وثبت أمام الهجوم النصراني ثباتا جعل الجند يلتفون حوله، ويستبسلون في القتال،

حتى تنّزل النصر من الله جلّ وعلا، ودارت الدائرة على النصارى، فأخذت سيوف المسلمين تعمل في رقابهم... وكانت من المعارك المشهودة في التاريخ الأندلسي، وقف أحد الشعراء في موقفه هذا يستشهد بقول المتنبي:

وقفت وما في الموت شكّ لواقف

كأنكّ في جفن الردى وهو نائم[1]

٢ - **قوة إيمانية وصلابة نفسية للثبات أمام مغريات الشهرة وفتنة البروز**، فهي من أشد الفتن تأثيراً على النفس البشرية، قد يثبت المرء على فتنة المال والنساء، ولكنه يضعف أمام فتنة الوجاهة، قال أحد السلف: «**ابتلينا بالشدة والضراء فصبرنا، وابتلينا بالشهرة فلم نصبر**»، ومن هنا ولكيلا تكون الرمزية وبالاً على صاحبها عليه أن يتعاهد قلبه بالعبادات القلبية والصلة الوثيقة بالله تعالى والتطلع الدائم لما عند الله، وتذكر أن ما هو فيه من شهرة ابتلاء واختبار يجتازه بتجديد الإيمان واللجوء إلى الله، ثم بالمعايشة الإيمانية الجماعية في مجتمع الدعاة التي تجّدد تواضعه، وتصقل سمته، وتحفظ دينه.

---

(١) الأندلس. التاريخ المصور د. طارق السويدان.

٣ - **السيطرة على نزعة الاستقلالية والتميز**، التي تجعل البعض يرغب بنفسه عن أخوانه، وعما يصّنفه ضمن المحسوبين على الحركة الإسلامية، فيتعمد أحياناً طرح مواقف تخالف المواقف المعروفة للحركة... ويزداد الأمر خطورة إذا مست تلك المواقف المتباينة له، ثوابت العقيدة والفكر والمنهج... ويزيده انغماساً في هذه النزعة تصفيق الجماهير، وتشجيع المنافسين للحركة له، وإعجابهم بفكره المستنير، واستقلاليته الفكرية، وهذا يقتضي من الرمز أن يتذكّر نعمة الله عليه بالهداية لطريق العمل الإسلامي والإقرار بفضله جّل وعلا عليه، ثم بفضل الحركة عليه بنبوغه وبروزه، وأن يحذر من تلك النزعة التي قد تورده موارد الانحراف عن الصواب، وعليه أن يقبل على معايشة إخوانه ويتعاهدهم بحسن الصحبة وجميل الوفاء، بما يجدد إيمانه وينبهه من غفلته، قال يحيى ابن معين: «**ما رأيتُ مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة فما افتخر بشيء علينا ممَّا كان فيه من الخير**».

كان الإمام أحمد مائلاً إلى الفقراء، وكان فيه حِلْمْ، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع، وكانت تعلوه السكينة والوقار. **قال رجل للإمام أحمد: جزاك الله عن الإسلام خيراً، فقال الإمام أحمد: بل جزى الله الإسلام عني خيراً، مَنْ أنا ؟ وما أنا؟**»...

يقول صاحب الحُلَل المَوْشِيّة: (لما ضخمت مملكة يوسف بن

تاشفين، واتسعت عمالته، اجتمعت إليه أشياع قبيلته، وأعيان دولته، وقالت له: أنت خليفة اللـه في أرضه، وحقك أكبر من أن تدعى بالأمير، بل ندعوك بأمير المؤمنين.. فقال لهم: حاشا لله أن نتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به خلفاء بني العباس؛ لكونهم من تلك السلالة الكريمة، ولأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة، وأنا راجلهم والقائم بدعوتهم، فقالوا له: لا بد من اسم تمتاز به، فأجاب إلى «أمير المسلمين وناصر الدين» وخطب لهم بذلك في المنابر، وخوطب به من العُدْوَتَيْن - أي المغرب والأندلس -).

يقول السلامي الناصري في الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: «إنما احتاج أمير المسلمين إلى التقليد من الخليفة العباسي مع أنه كان بعيداً عنه، وأقوى شوكة منه، لتكون ولايته مستندة إلى الشرع... وإنما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدباً مع الخليفة حتى لا يشاركه في لقبه، لأن لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة، والخليفة من قريش». - موقع ويكبيديا - .

٤ - **التوظيف السليم لتلك الرمزية بما يحقق الأهداف الدعوية والرؤى الإصلاحية**، والحذر من الانسياق وراء آفات الشهرة وجواذبها التي قد تشترط عليه سبيلاً غير سبيل الدعاة، جاء في تفسير حديث رسول الله ﷺ عن الطائفة المنصورة «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خذلهم...**» (أخرجه مسلم

عن ثوبان رضي الله عنه) أنهم مظهرين لهذا الحق الذي هم عليه، معتزّين بتمسكهم به، معلنين له على رؤوس الأشهاد، فقد ظهر لهم الحق فأعلنوه، فهم منتصرون للحق، ومنتصرون به.

٥ – **المبادرة، وتقدم الصفوف في ميادين العطاء والبذل**، إذ إن انتصاب الرمز إماماً وقدوة في الخير والدعوة، له آثاره البليغة في النفوس، تفوق تأثير مواعظه ومحاضراته وخطبه، فالعمل دليل ملموس على يقين الرمز بما يدعو إليه، والى هذا أشار القرآن الكريم بقول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال الطبري في تفسيره: «**وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم، وتقويتنا إياهم على الهداية، إذ صبروا على طاعتنا، وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها.... وقوله: وكانوا بآياتنا يوقنون يقول: وكانوا أهل يقين بما دلتهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق، وإيمان برسلنا، وآيات كتابنا وتنزيلنا**»، ومن الأمثلة الناصعة على مبادرة الرمز للخير وانتصابه قدوة للآخرين، أن الإمام حسن البنا يرحمه الله بعد أن أعلن عن فتح باب التطوع للجهاد في فلسطين عام ١٩٤٨ ذهب لزيارة أحد مراكز التطوع وبادر لتسجيل استمارة التطوع والتي اتضح أنها كانت تحمل رقم «١» أي انه كان رحمه الله أول المتطوعين، والوثيقة المرفقة هي نسخة ضوئية لذلك الطلب .

المتطوع رقم ١/٤٨

بدأت لجنة مساعدة المشردين بفلسطين بالمركز الرئيسي لجماعات أقسام البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين تبدأ عملها حتى شرفت بزيارة حضرة صاحب الفضيلة الرئيس العام لجماعات أقسام البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين . وبعد أن تفقد أعمالها ، واطلع على معلوماتها ونشرات الاذرع العملية المميزة التى اعدتها ... اعلن فضيلته عن رغبته الكريمة فى ان يكون اول متطوع لمعونة اللجنة طوال ٤ اسبوع لمساعدة المشردين فى اداء رسالتها الانسانية النبيلة ...

ويسرنا أن ننشر فى هذا المكان صورا زنكوغرافية للرسم طلب تطوع فضيلته وبطاقته الشخصية . فلعل فى ذلك أكبر حافز على اقبال الاخوان جميعا شيبا وشبابا على مقر اللجنة ...

وبذا ايها الاخوان فى القاهرة والاقاليم فلم يعد لكم عذر بعد الآن ، ولكن لكم فى فضيلة المرشد العام الاسوة الحسنة والقدوة الصالحة

بسم الله الرحمن الرحيم

المركز الرئيسى
لجماعات أقسام البر والخدمة الاجتماعية
للاخوان المسلمين

مساعدة المشردين بفلسطين

طلب رقم ١
فرع الدرب الاحمر
منطقة الدرب الاحمر
مكتب الارشاد العام

الاسم حسن أحمد عبد الرحمن البنا السن ٤٢ سنة
العمل المرشد العام للاخوان المسلمين تليفون ٤١٤٢١
الاقامة الحلمية الجديدة تليفون

حضرة الأخ الكريم سكرتير لجنة مساعدة المشردين بفلسطين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

أرجو قبول متطوعا لمعاونة اللجنة فى أداء واجبها الإنسانى الجليل نحو مساعدة المشردين بفلسطين التى تحددونها وفقا لتعليمات اللجنة . وتجدون تحت الطلب ومع هذا عدد ٢ صورة فوتوغرافية ٦×٤ سم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرا فى ٤ من ذى القعدة ١٣٦٧
٨ من سبتمبر ١٩٤٨

المتطوع
[illegible]

[redacted]
تحريرا فى ٤ من ذى القعدة ١٣٦٧
٨ سبتمبر ١٩٤٨

المتطوع
[illegible]

تاسعاً - فاعلية الأنشطة الدعوية العامة:

الأنشطة والمشاريع والفاعليات العامة هي منابرُ الدعاة لتوجيه خطابهم الدعوي ومشروعهم الإصلاحي، وعلى قدر نجاحها وفاعليتها يتحقق تأثيرها وتنجز أهدافها، ومن المؤشرات الإيجابية ما نراه من تطور في وسائل وأساليب وفاعليات الدعوة العامة، مما حقق تقدماً ملموساً، فهناك «الحملات القيمية» كحملة «ركاز» التي سنت سنة التحول إلى الجمهور في أسواقهم ومجتمعاتهم، وتناول قيم أخلاقية مدروسة بعناية من خلال فاعليات متنوعة تلقى إقبالاً متنامياً .... ونعني بفاعلية الأنشطة الدعوية العامة: «**القدرة على الوصول لأفضل النتائج في تحقيق أهداف الدعوة العامة لدى الشريحة المستهدفة وفقا للمعايير والمؤشرات الموضوعة**».

وهذا يعني بالنسبة إلى:

إيصال المفاهيم: أن تستوعب بأعلى قدر من الصحة لأكبر شريحة.

غرس القيم: إحداث أوسع نطاق من التغيير تجاه القيم المطلوبة.

إيصال المعلومات: وصول المعلومات بأعلى قدر من الدقة لأكبر شريحة مستهدفة.

الاستقطاب: حشد لأكبر شريحة مستهدفة متفاعلة مع الرسالة والمؤسسة الدعوية.

التوجيه: أوسع تأييد للموقف المستهدف.

التوعية: تغيير سلوكي إيجابي لدى أكبر شريحة مستهدفة تجاه الفكرة الدعوية.

* إلا أن الملاحظ على أنشطة بعض المؤسسات الدعوية أنها لم تصل إلى المستوى المطلوب من الفاعلية، الأمر الذي يهدر جهوداً وأوقاتاً وأموالا، وهذا يتطلب وقفة تقييم ومراجعة لأسباب ضعف الفاعلية تلك وأساليب المعالجة، والتي منها:

(١) **الرتابة في نوعية النشاط** إذ الغالب أنها ندوات ومحاضرات يدعى إليها الجمهور في المؤسسات الدعوية، مما يقتضي الحرص على التجديد والتطوير في المضمون والشكل لتحقيق عنصر الجاذبية والتشويق لدى الجمهور.

(٢) **الأهداف غالباً ما تكون عامة غير واضحة ولا محددة**، ومن صفات التخطيط السليم وضوح الأهداف وتحديد مضمونها ومؤشراتها الكمية؛ ليسهل قياس مدى تحققها.

(٣) **الاقتصار على لون واحد الفاعليات خلال النشاط الدعوي**، دون

تنوع في الفقرات وتعدد في طبيعتها مما يقلل من التفاعل والتجاوب من الجمهور، فالتنويع في الفاعليات يجعلها تخاطب جميع الفئات المستهدفة، ويجدّد تفاعل الجمهور خلال مدة النشاط.

(٤) **البرامج عادة ما تكون مصممة على قدوم الناس إلى المؤسسة الدعوية**، وهذا يقلل من مستوى المشاركة، لذا فإن تنظيم الأنشطة الدعوية في المجمعات التجارية والحدائق والمنتزهات ودور العرض يضيف شرائح مشاركة في الأنشطة لا يمكن مشاركتها إذا أقيم النشاط في المؤسسة الدعوية..

(٥) **ضعف كفاءة وجودة حملة الدعاية والإعلان** من حيث المضمون والشكل والوسيلة، والدعاية والإعلام من أهم أدوات الفاعلية للأنشطة؛ إذ يعلن من خلالها عن الفاعليات الدعوية، فينبغي تصميم الحملات الدعائية والإعلامية من قبل متخصصين قادرين على تصميمها ونشرها بما يحقق أكبر تعريف بها وأكثر تفاعل معها.

(٦) **إهمال إيصال الدعوات الشخصية للشخصيات والديوانيات والمؤسسات**، إذ إن توصيل الدعوات الشخصية التي تكون ممهورة بالاسم والصفة له أثر في استجابة المدعوين للنشاط

وتقديرهم للقائمين عليه، ولا يكفي الاعتماد على الإعلانات العامة.

(٧) **ضعف جاذبية بعض المشاركين في تلك الأنشطة**، وعدم مناسبة البعض منهم للشريحة المستهدفة بالنشاط، إذ إن أسماء الرموز المشاركة في فاعليات الأنشطة الدعوية له أثره الكبير في تفاعل الجمهور، بل هو من أهم أسباب الفاعلية.

(٨) **لا يتم استثمار النشاط الدعوي بأفضل صوره**، حيث ينصب الاهتمام على إنجاز الوسائل المقررة دون التفكير بوسائل رديفة ومساندة ترفع من مستوى الفاعلية والتأثير.

(٩) **ضعف الاهتمام بالتغطيات الإعلامية أثناء النشاط وبعده** من خلال الفضائيات والصحف وتسجيلها بالفيديو لتوسيع دائرة الأثر لمن لم يشارك بالحضور.

• ومن الأمثلة الرائعة على فاعلية الأنشطة العامة: أنْ نظّم فرع جمعية الإصلاح الاجتماعي في الجهراء نشاطاً متميزاً بعنوان «غيّر حياتك"، وكان الشباب هم الشريحة المستهدفة، وتضمن النشاط مشاركة محاضرين ذوي قبول كبير لدى هذه الشريحة، ومما زاد من فاعلية هذا النشاط وأثره وجود ركن خاص في مكان إقامة النشاط

مخصص لاستبدال البلوتوث الفاسد ببلوتوث إسلامي يحوي مواد مفيدة ونافعة، وتم حصر أعداد من قام بذلك الاستبدال مما سهّل قياس أحد مؤشرات النجاح للنشاط، حيث زاد عددهم عن ٣٠٠ شاب، وكان ذلك أحد الأساليب الرائدة في استثمار الأنشطة الدعوية، كما تم ترجمة شعار الأسبوع عملياً، حيث حرص المحاضرون على أن يختتموا محاضراتهم بطلب أن يقوم الشباب فوراً بعملية التغيير بإحضار الأشرطة والأدوات التي كانت تدمّر أخلاقهم، فجمعت الآلاف من الأشرطة والأقراص وبطاقات الاستقبال الفضائي للقنوات الفاسدة وحتى أدوات الموسيقى، فكان بحق نشاطاً بلغ أعلى درجات الفاعلية والتأثير.

عاشراً - الدعاة والعمل الاجتماعي:

العمل الاجتماعي والتواصل مع الناس بكافة فئاتهم من خصال الخير التي حثّ عليها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». (متفق عليه).

وقوله ﷺ: «تبسُّمُك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك الرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة». (حسنه الألباني).

فالعمل الاجتماعي: «هو التواصل الاجتماعي المستمر والفاعل مع الجمهور بفئاتهم المختلفة من خلال العلاقات والزيارات والخدمات والأنشطة الاجتماعية، والتي يقوم بها الأفراد أو المؤسسات، والتي تهدف لترسيخ القيم الإسلامية وتوسيع دائرة التأييد لأهداف المشروع الإصلاحي الإسلامي».

بهذا التعريف يكون العمل الاجتماعي في حقيقته مجالاً من مجالات الدعوة، ووسيلة هامة من وسائلها.

مفاتيح العمل الاجتماعي الفاعل:

١ - **امتزاجه بالفكرة الدعوية:** فليس هو مطلوباً لذاته، أو كحاجة اجتماعية يمارسها الفرد، وتأمّل في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾: مع المسلمين مستضيئاً بما قذف الله في قلبه من نور الحكمة والإيمان. (الوجيز في التفسير)، فهذه إشارة قرآنية لطيفة لأهمية معايشة الداعية لمجتمعه وهو يحمل النور الذي هداه الله تعالى له.

٢ - **المعايشة لأحوال المجتمع وقضاياه:** فالناس تتفاعل مع من يتلمس احتياجاتها ويتصدى لقضاياها.

٣ - **التصدي لعلاج مشكلات المجتمع وسد احتياجات الناس:** قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم**»(١).

٤ - **حسن الصلة وطيب المعاشرة وحسن الخلق:** عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط وجه وحسن الخلق**»(٢).

---

(١) حسن. حديث رقم: ١٧٦ في صحيح الجامع

(٢) رواه مسلم.

٥ - **حسن العرض وجودة الخطاب:** فطيب اللسان وحسن الخطاب يكشف عن شخصية الداعية، ويعكس شخصية الحركة التي يمثلها، قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله ؟ قال: لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» (رواه الترمذي).

٦ - **الدخول للناس من مداخلهم المقبولة لديهم:** فالله تعالى أرسل رسله وأنبياءه بلسان أقوامهم، ومن بين أظهرهم؛ ليكون أدعى لقبول الرسالة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤]، أي متلبساً بلسانهم متكلماً بلغتهم؛ لأنه إذا كان كذلك فَهِم عنه المرسل إليهم ما يقوله لهم، وسهل عليهم ذلك، بخلاف ما لو كان بلسان غيرهم؛ فإنهم لا يدرون ما يقول، ولا يفهمون ما يخاطبهم به حتى يتعلموا ذلك اللسان دهراً طويلاً، ومع ذلك فلا بد أن يصعب عليه فهم ذلك بعض صعوبة، ولهذا علّل سبحانه ما امتن به على العباد بقوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ أي ليوضح لهم ما أمرهم الله به من الشريعة التي شرعها لهم، ووحد اللسان لأن المراد بها اللغة[1].

---

(١) فتح القدير.

٧ - **الابتعاد عن المنفرات**: كالتعالي والأستاذية والجفاء والقطيعة وإثارة العصبيات.

٨ - **الصبر والمواصلة**: قال ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على آذاهم**» مع الأمل وعدم اليأس.

٩ - **الإبداع والتجديد**: الذي يجّدد الهمم والعزائم، ويعزّز ثقة الناس بالحركة وتجاوبهم مع أنشطتها.

١٠- **المنهجية في العمل وجودة التخطيط**: ذلك أن العشوائية والارتجالية لا تحقق النتائج المطلوبة، فضلاً عن الهدر في الجهود والأوقات.

الفصل السابع:

استثمار الطاقات ظاهرة أم مشكلة.... ؟:

الاستثمار الأمثل للطاقات:

«هو توجيه الطاقات البشرية المتاحة بما يحقق أكبر فاعلية في عطائها وفاعليتها وإنتاجيتها لتحقيق أهداف المؤسسة في كافة المجالات».

وهذا يعني:

إن ما يحدده الفرد بذاته من عطاء لا يعني – بالضرورة – أنه استثمار أمثل، فالفاعلية والإنتاجية هي التي تحقق الأهداف المرسومة من قبل المؤسسة، والفرد الفاعل هو الذي يواجه طاقته، التي هو أدرى بها، باتجاه الأهداف المرتجاة، لتسير سفينة الدعوة باتجاه واحد نحو برّ الأمان.

ويتردد في صفوف الدعاة الأسئلة التالية: **هل طاقات الدعاة مستثمرة استثماراً أمثل...؟**

وهل هي طاقات غير متوفرة أم طاقات معطلة ؟؟ هل هي بطالة مقنعة في صفوف الدعاة....؟؟:

وهل قضية الاستثمار الأمثل للطاقات ظاهرة طارئة أم مشكلة مستعصية.... ؟؟؟:

و الجواب على ذلك:

إنها – بلا شك – مشكلة في أثرها على فاعلية الحركة الإسلامية وتحقيقها لأهدافها... نتيجة توسع المجالات وامتداد المساحات الدعوية... ولكنّها ليست مستعصية الحل.

وهي – بنفس الوقت – ظاهرة بحكم حجمها وتعدد الشكوى من وجودها على اختلاف الأسباب المؤدية لها من موقع لآخر ومن شخص لآخر، وليست طارئة، بل لكل مرحلة دعوية نمط من أنماطها، وأسباب تتعلق بها.

• وباستقراء الواقع يتضح أن الاستثمار لطاقات الدعاة لا يزال محدوداً، ولا يتناسب مع العدد والخبرات والتخصصات...والدليل هو الاحتياج الدائم للطاقات في المجالات المختلفة للعمل الإسلامي، وفي جوهر المشكلة نجد أنها تحتمل النوعين، فهناك نقص في طاقات لمجالات جديدة تقتضيها المرحلة، وهناك طاقات معطلة تشير لوجود بطالة مقنعة، والدليل على ذلك أن بعضاً من تلك الطاقات المعطلة هي منتجة وفاعلة في مجالات العمل الوظيفي وميادين الأعمال المحببة

للنفس، بما يشير إلى توفر القدرات والمهارات لديها.... ولكن الدافعية للعمل الدعوي ضعيفة، لا تحفز الفرد لاستخراج طاقاته وقدراته تلك في ذلك الميدان.

فإذا كان الأمر كذلك: فمن المتسبب في هذه البطالة.....؟:

- هل هو الفرد الذي شحّ بقدراته تلك أن يسخّرها لدعوة الله.... ؟
- أم من يتولى مسؤولية التوجيه والرعاية له....؟
- أم بيئة العمل الحركي وأساليب القيادة والتخطيط للحركة..... ؟
- **والجواب: أن لكلٍّ مسؤوليته ودوره في التسبّب في هذه المشكلة:**

- **فالفرد واجب:** عليه أن يعي أن ما يبذله من جهد وطاقة، إنما يبذلها في سبيل الله.... نصرة لدينه... وإعزازا لدعوته...

وأن عطاءه هذا إنما هو – في الحقيقة – عائد له في ميزان حسناته...

فالمنفعة الحقيقية عامة للحركة، وخاصة له، كما أن الضرر –كذلك – عام على الحركة، وخاص به، قال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦].

وعليه أن يستشعر دوماً أن من دلائل قوة الإيمان أن يكون همّ الدين والآخرة والدعوة أكبر همومه، مستحضراً حديث المصطفى ﷺ الذي رواه عبد الله بن مسعود قال: (**لو أن أهل العلم صانوا العلم**

ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا، لينالوا به من دنياهم فهانوا عليهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول من جعل الهموم همّاً واحداً هم آخرته كفاه الله همّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك) (ابن ماجه والحاكم في المستدرك).

- **ومن يتولى مسؤولية التوجيه للفرد عليه واجب:**

- حسن الإدارة وتوزيع الأدوار...
- وحكمة اكتشاف الطاقات....
- وإدراك حقيقة تفاوت القابليات....
- وشرح برامج العمل وخططه بما يعزز الشعور بالمشاركة والمسؤولية لدى الأفراد....
- واستخدام أدوات ووسائل التحفيز والدافعية بحكمة ومهارة.....
- والربط الإيماني المستمر بين المهام الحركية واحتساب الأجر من الله تعالى....
- وحسن التفقد والمتابعة للأفراد في عطاءاتهم الدعوية.....

- ومعالجة العوائق التي تحول دون استثمار قدراتهم وطاقاتهم...
- وتشجيع المبادرات الفردية وإشعال جذوة الحماس والتنافس بين الأعضاء...

كل ذلك مطلوب من المسؤول، وهو جزء هام من جوانب المسؤولية والأمانة، وفقه عُمَرِيٌّ محمود حين قرّر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدود تلك المسؤولية وقال: «لو عثرت بغلة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها: لم لم أمهد لها الطريق».

- **وبيئة العمل الحركي:**

- ينبغي أن تكون بيئة مشجعة على العطاء....
- واضحة الرؤية والأهداف.....
- ملتزمة بالرسالة.....
- ذات إنجازات تحفّز الأفراد على استنفار طاقاتهم.....
- تشعرهم بالرعاية الأبوية.....
- متفاعلة مع المستجدات.....
- تحسن توظيف التحديات بما يشّكل حافزاً لمزيد من العطاء.....
- قادرة على ترجمة الأهداف إلى اختصاصات ومهام ووظائف تتناسب مع قدرات الأفراد ومواهبهم...

- تتخذ من أسلوب اختيار الفرد لموقعه الوظيفي في مؤسسات الحركة منهجاً في تشكيلاتها.

• **وهنا يحق لنا أن نتساءل: وكيف يتحقق الاستثمار الأمثل للطاقات إذن..؟**

والجواب:

- يجب التأكيد ابتداءً على أهمية استثمار الطاقات الدعوية بصورة مثلى، إذ إن الحركات على مختلف مشاربها، إنما تحقق أهدافها ورسالتها من خلال جهود أفرادها وقيادتها، والهدر في الطاقات المتاحة هو من الأمور المذمومة؛ لما يترتب عليها من آثار سلبية على واقع الحركة الإسلامية وعطاء أفرادها وعلى أدائها وفاعليتها، ومن ثمة على مستقبلها وتحقيق رؤيتها...

- ويتحقق الاستثمار الأمثل للطاقات بمعالجة الأسباب المسببة لضعف الاستثمار في كل مجال بحسب الظروف والأفراد والبيئة الخاصة بكل مجال... بالإضافة إلى إيجاد البيئة الواقية من بروز تلك المشكلة حسب ما أشرنا إليه آنفاً من الأدوار المطلوبة من الفرد ذاته... والمسؤول عن التوجيه المباشر... وبيئة العمل الحركي.

- ونضع هنا بعض المقترحات العامة التي قد تساهم في رفع مستوى الاستثمار للطاقات البشرية، دون الخوض في الأسباب والتي يمكن أن يستنبط بعضها من خلال التأمل في طبيعة العلاج.. وذلك عن طريق الوسائل التالية: -

١) **إخلاص النية لله تعالى**، واستشعار مفهوم العبادة في النشاط الدعوي، وغرس مفهوم «الإحسان» في الأداء الدعوي، فذلك يعتبر من أقوى الحوافز في رفع الهمم واستنفار الطاقات، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

٢) **توضيح الرؤية والأهداف من قبل المؤسسة للأعضاء**، إذ إن ذلك الوضوح له أثره الفاعل في تحفيزهم وتوجيه طاقاتهم تجاه تحقيقها، قال تعالى لنبيه وهو خارج من مكة في طريق هجرته، مبشّراً له بعودة ظافرة لمكة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥]، **وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة سار في غير الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم،**

قال: فإن الله تعالى يقول: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية[1].

٣) وضوح مجالات العمل ومتطلباتها من التخصصات والقدرات ووحدات العمل، كما أشرنا سابقاً، حيث يحدد ذلك الاتجاه العملي لتوظيف الطاقات حسب تلك المجالات والوظائف.

٤) التفاعل الجاد مع الرؤية والأهداف واستشعار المسؤولية الفردية تجاه تحقيقها والرغبة الصادقة بالعطاء. قال أبو بكر رضي الله عنه وهو يستحث الصحابة رضوان الله عليهم لحرب المرتدين ومانعي الزكاة: (أينقض الدين وأنا حّي....؟!).

٥) عدم حكر الطاقات في مجال محدود من قبل مسؤولي العمل، إذ البعض منهم - هداهم الله - يفهم التبعية التنظيمية أنها (ملك يمين) للفرد الذي يتبعه، فيتعسف في التقييد له عن التحرك لخدمة مجالات دعوية أخرى.

٦) التواصل مع القطاعات المختلفة للحركة لاستكشاف مجالات العمل الأخرى.

---

(١) تفسير البغوي.

٧) **تطبيق سياسية (العطاء المتعدد)** حيث ينّوع الداعية مجالات عطائه الدعوي، ويتنقل بين مواقع الدعوة، يبذل ما حباه الله تعالى من إمكانات وقدرات.

٨) **المبادرة بطرح المشروعات الدعوية** بمختلف تخصصاتها واعتماد أسلوب «اختيار الفرد لوظيفته الدعوية» للمشاركة في اللجان ومواقع العمل المختلفة على مستوى المؤسسة.

٩) **توجيه الطاقات وفق الأولويات**، والتي ينبغي أن تكون واضحة للأفراد؛ ليتحقق التفاعل معها.

١٠) **التأهيل والتدريب على المهارات المطلوبة** لمجالات العمل المختلفة، وتنمية القابليات والقدرات لتولي المسؤوليات وتنفيذ المهام.

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

الفصل الثامن:

الدعاة.. والسنن الإلهية

لله تعالى سنن ماضية وأقدار نافذة، تجّلت هذه السنن خلال التاريخ البشري، وبيّنها الله جلّ وعلا في كتابه المبين، ليستّقر في قلوب المؤمنين أنه تعالى مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممّن يشاء، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع....

وقد وجّه القرآن قلوب المؤمنين للتأمل والتدبر في تلك السنن الإلهية!... للتعرف عليها...، والإيمان بها...، والتعامل معها في مسيرة الحياة، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٦] وقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران ١٣٧ – ١٣٨].

- **ومما تتميز به هذه السنن الإلهية:**

١ – **أنها حاكمة نافذة**، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ

﴿ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. قال الطبري: «وكان أمر الله قضاءً مقضياً».

٢ - إنها لا تتبدل ولا تتحوّل بل هي ثابتة مستقرة، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] ، قال الإمام الشوكاني: «أي لا يقدر أحد أن يبدّل سّنة الله التي سّنها بالأمم المكّذبة من إنزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلاً عنه، ولن تجد لسّنة الله تحويلاً بأن يحّول ما جرت به سنّة الله من العذاب فيدفعه عنهم، ويضعه على غيرهم، ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودها»(١).

٣ - إنها عامة لكل البشر مؤمنهم وكافرهم، متى ما تحققت مقدماتها حلّت نتائجها، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

(١) فتح القدير.

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧]، قال القرطبي في تفسيره: «وما كان ربك ليهلك القرى أي أهل القرى. بظلم أي: بشرك وكفر. وأهلها مصلحون أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط، ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب».

٤ - أنها ماضية في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

٥ - أنها شاملة لجوانب الحياة وعوامل الحضارة الإنسانية:

فسّنة الله في التدافع بين الحق والباطل...

وسنّة الله في الرزق....

وسّنة الله في النصر والتمكين.....

وسنة الله في الأمن.....

وسنة الله في الظالمين والمترفين والمخالفين لشرع الله.

والمتأمل لتاريخ البشرية عامة والتاريخ الإسلامي بشكل خاص يجد - بما لا يدع مجالاً للشك - أنها سنن الله النافذة، فلو تأمل الباحث في عوامل انحطاط الحضارات السالفة لوجد أنها معادلات تتكرر، وأسباب تؤدي لنتائج.... كما أنّ المتدبّر في مسار جولات النصر والتمكين للأمة الإسلامية طوال عصورها المختلفة، يجد الأسباب والعوامل هي هي تتكرر فيتحقق النصر.... وبالمقابل يجد أن جولات الهزيمة والتراجع الحضاري تشابهت أسبابها وعواملها على اختلاف الزمان والمكان، بما يدفعنا للقول - بكل تواضع - أن فقه تلك السنن الإلهية وتدبرها يضع القاعدة الأساس للتصور الإسلامي لعلم «استشراف المستقبل»، حيث يمكّن لأولي الألباب من العلماء والمفكرين أن يستشرفوا مستقبل الأمة على ضوء تعاملها مع مقدمات وأسباب تلك السنن الربانية.

*** والسؤال الهام هنا: كم يشكّل الفقه واليقين والأخذ بتلك السنن من حيّز لدى قادة الحركة الإسلامية ومخططي استراتيجياتها بل ولدى عموم أفرادها وأنصارها... ؟؟**

إن التباين بين مستوى الإيمان واليقين بتلك السنن، ودرجة الفقه بصفاتها وأسبابها ونتائجها، ومستوى الأخذ بها والتعامل معها، يمكن

أن يشكّل خطراً على البنية الأساسية للحركة.. وتهديداً حقيقياً لوجودها ونمائها وانتصارها، لاسيّما إذا كان هذا التباين حادّاً بين القيادات والأفراد.....إذ يدخل ذلك التباين الحركة في شرنقة الغافلين عن آيات الله وسننه، والغفلة داء عضال يصيب الأفراد والجماعات عندما يخفت صوت الذكرى التي تنفع المؤمنين.....

ويصمت في صفوفها الواعظون المخلصون.....

وتنجذب الثلة القائدة لجواذب الواقع والحسابات المادية والاتكال على القوى الذاتية والمعادلات البشرية.....

فلأجل التنبه والحيطة أن يقع ذلك - نسأل الله العافية - كان الواجب أن يكون العلم بتلك السنن، والفقه بحقائقها وقواعدها وشواهدها القرآنية والتاريخية، والتعوّد على أن تكون في بؤرة التفكير والتخطيط الاستراتيجي، وفي صلب المناهج التربوية والأنشطة الإيمانية والثقافية، وفي تذاكر دائم يورّث للاحقين... ثم الأهم من ذلك والأخطر شأناً هو التربية والإعداد للأخذ بأسباب سنّن النصر والتمكين وركائز الاستعلاء والنجاح في سنة التدافع... وهذه واجبات للجميع وليس للقيادات فقط، فاستقامة كل داعية تضع لبنة في تحقيق عوامل النصر والنجاح للدعوة ... كان صلاح الدين الأيوبي

- رحمه الله - يتحسس أحوال الجند قبل المعركة، فمّر بخيمة لجند يذكرون الله تعالى فقال: «من هذه الخيمة يتنّزل النصر»... ثمّ مرّ بأخرى وإذا بالجند يلعبون ويتضاحكون ويتغنّون، فقال: «من هذه الخيمة تأتي الهزيمة»....

وقف الإمام حسن البنا يخاطب الإخوان المسلمين في المؤتمر الخامس منبّهاً على منهج التعامل مع السنن الإلهية ويقول: «أيها الإخوان المسلمون:

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة. ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلّابة، ولكن غالبوها، واستخدموها، وحوّلوا تيّارها واستعينوا ببعضها على بعض.....

وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد»[1].

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس.

الفصل التاسع:

الدعاة... والأخوّة الإيمانية

الأخوّة الإيمانية هي أثر من الآثار المباركة للإيمان، وصفة لصيقة من صفاته، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ أي: في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: **أخوّة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوّة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوّة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب.** (القرطبي).... **والإخاء الإيماني عروة من عرى الإيمان، بل هو أوثق عرى الإيمان،** لحديث المصطفى ﷺ: «**أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله**»، وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»...

وجعله ﷺ مؤشراً على قوة الإيمان وكماله في قلب المؤمن، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد.

• لقد حدّد القرآن قاعدتين لقيام الأمة المسلمة بدورها وتحقيق رسالتها، فقال جلّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣].

وهذا ينطبق على واقع الحركة الإسلامية، فهي ترتكز في بنائها ونمائها وقوتها على هاتين الركيزتين: اعتصام بحبل الله، وأخوّة إيمانية صادقة وراسخة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء :١٧٥]

قال الطبري في تفسيره: «ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً، يقول: ويوفقهم لإصابة فضله الذي تفضل به على أوليائه، ويسددهم لسلوك من أنعم عليه من أهل طاعته، ولاقتفاء آثارهم واتباع دينهم، وذلك هو الصراط المستقيم، وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده، وهو الإسلام».

• وكما رغبّ الإسلام في الإخاء الإيماني فقد حذّر من الآفات التي تنخر في بناء الأخوّة، وتقطع أواصرها، من الحقد والبغضاء والحسد... وسوء الظن والغيبة والنميمة والسخرية، ففي الصحيحين عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: **لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخواناً** »، وفي رواية: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ؛ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» [1]... والاختلاف بين الأخوة من أخطر البواعث لتلك الآفات، إذ هو الذي يشعلها في القلوب، ويوقد جذوتها، فهو سبيل لخدش الأخوة وهدمها، لذلك اشتد تحذير النبي ﷺ من الاختلاف الذي يؤدي للتباغض والحقد وتنافر القلوب، فقال ﷺ: «**فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**» وفي رواية «**فأهلكوا**»[2] وعند ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود: «فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف»، قال ابن حجر - رحمه الله - : «**وفي الحديث والذي قبله الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف**»، قال ابن تيمية: «**وأمرنا الله تعالى بالاجتماع والائتلاف، ونهانا عن التفرق والاختلاف**» [3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) مجموع الفتاوى ١٩/ ١١٦.

«والاختلاف كما يضعف الأمة ويهلكها يضعف الجماعة المسلمة التي تنهض بواجب الدعوة إلى الله ثم يهلكها»[1].

● يدرك الدعاة هذا كلّه، ويعيشون في ظلال الأخوّة، يتنعمون بسمّو تلك العلاقة وبروابطها التي وحّدت صفوفهم، وأحكمت بناءهم، ووثّقت علاقاتهم، والأمل يحدوهم:

- أن يكونوا ممن يناديهم الرحمن جلّ وعلا يوم القيامة **«أين المتحابّون بجلالي، أظلهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلّا ظلّي»**[2] ...

- وأن يحشروا على منابر من نور على يمين الرحمن يغبطهم بمكانهم النبيون والصدّيقون....

- وأن تبقى آثار أخّوتهم ومحبتهم لبعضهم لا تنقطع في ذلك اليوم العصيب الذي يكون فيه الأخلّاء بعضهم لبعض عدّو إلا المتقين....

- وأن يلتقوا في جنان الخلد إخواناً على سرر متقابلين، نزع الغّل من صدورهم كما زرعت المحبة في قلوبهم يوم جمعهم الإخاء الإيماني...

● تلك الأماني الغالية والآمال العظيمة هي التي تغذّي الإخاء

---

(١) عبد الكريم زيدان - (السنن الإلهية).

(٢) رواه مسلم.

الإيماني بين الدعاة، وترتقي في تطبيقاته وأخلاقه لأبهى صور العلاقات الإنسانية، فقد اجتمعوا عليها على غير انساب ولا أرحام بينهم...غير الحبّ في الله والعمل في سبيل الله.

• **ولكن...** تلك العلاقة السامية والرابطة الغالية أخذت تتشوه في واقع بعض الدعاة، وكأنّ ضياءها بدأ يخفت في قلوبهم فلم تعد الأخوّة هي التي تضبط مشاعرهم... أو تَهذّب سلوكهم... أو تحفظ حقوقهم... أو تزّكي تعاملهم، وإن كانت تلك الثغرات في جدار الإخاء الإيماني للحركة الإسلامية لا تمثل إلا نقاطاً سوداءَ صغيرةً في جدارها الناصع البياض، إلا أن الخوف على ذلك البناء، والخشية أن تكون تلك الثغرات سوسا قد يحدث التشقّقَات والتصدعات، كان الواجب أن نشير إليها بلسان ناصح وقلب مشفق لعلّها تكون تذكرة ينتفع بها المؤمنون وموعظة ينتبه لها الغافلون....

• **إن مما يستدرك وينبّه عليه في واقع العلاقة الأخويّة بين الدعاة في الحركة الإسلامية المشاهدات التالية:**

١ - **جوهر الإخاء الإيماني أنّه لله وبالله،** لم يوثّق عقده بين الدعاة لمصلحة دنيوية ومنافع شخصية، وهذا سرّ سّموه وسبب فضله وثوابه... إلا أن الملاحظ على بعضنا انّه أخذ في قياس مستوى علاقته الأخوّية حسب ما يلقى من تأييد ودعم ومساندة وتحقيق

لمصالح شخصية وتبّوأ لمراكز وظيفية، فإنْ تحقق له ذلك فقد كملت أخوّته... وارتضى من إخوانه حسن صحبتهم وجميل أخّوتهم...أما إذا لم يتحقق ما يصبو إليه فإن الاتهامات الجائرة تكال لهم بعدم رعايتهم لأخوّته، وتفريطهم بحقوقه، ونكوصهم عن مواثيق الأخوّة....فأين هذا من قول الله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ...﴾ [الأنفال: ٦٣]، وما علم - هداه الله - أن ما هو فيه ليس إخاءً إيمانياً، وإنْ مكث فيه السنوات الطوال، إلا أنه - في الحقيقة - لم يدرك جوهره، ولم يحقق معناه، إنما كان في علاقة صحبة ورفقة، استأنس بها من وحشة الطريق، وألف أفرادها، واستحسن طريقتها... أما الحبّ في الله فلم يدركه بعد... إذ الحبّ في الله ما كان مقصوده مرضاته جلّ وعلا، وما كان وقوده زيادة إيمان المحبوب وتدينه، وما كان مبتغاه تحقيق النصرة لدين الله، كما قال ﷺ: «**ثلاثٌ من كُنّ فيه؛ وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار**»[1].

---

(١) متفق عليه.

٢ - **سلامة الصدر، ونقاء السريرة، وصفاء القلوب** على بعضها البعض

كانت - ولا زالت - دلائل صدق الإخاء الإيماني، ودلائل العمق التربوي في التعامل الأخوي... إلا أن ما يزعج قلب المتابع للعلاقات بين الدعاة، لاسيّما بعد الولوج في تحديات وضغوطات ومناصب العمل العام، أن تلك التحصينات الإيمانية والبراهين العملية سرعان ما تنتهك... عجيب ومؤلم ما نسمعه أو نسمع عنه من سرعة الاتهام... وضغينة القلب... وسخيمة الصدر... حتى أننا نشك أن منتهكها هو أخ قد سمع بالإخاء الإيماني وتلقى دروساً ومواعظ في حقيقته وحقوقه وآدابه... أصبح حسن الظن عسيراً على هؤلاء.. وسلامة الصدر ثقلاً لا يتحملونه... والأعذار عن الخطأ مفهوماً غريباً لا يتعاطونه، **كما قال أحد الدعاة : إن مقولة: «احتسب لأخيك إذا أخطأ سبعين عذراً، فإن لم تجد فقل لعل له عذراً لا أعلمه. أصبحت بعيدة المنال فإننا اليوم نطالب هؤلاء بعذر واحد فقط وليس سبعين عذراً...!»** ... هل تناسى أولئك أن الله تعالى ينظر إلى القلوب والأعمال لا إلى المظاهر والأشكال...؟! القلوب وما فيها من نقاء وصفاء وسلامة هي محل نظره سبحانه وتعالى... وهي التي ستبلى يوم القيامة يوم تبلى السرائر... أما عَلِم أولئك

أن نقاء السريرة وسلامة الصدر هي التي يدخل الله بها العبد في رحمته، ويشمله برضوانه....؟!، سئل ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**»، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**»، وسلامة الصدر راحة في الدنيا، وغنيمة في الآخرة، ونعمة من النعم التي توهب لأهل الجنة حينما يدخلونها، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. كيف تتماسك جماعة وتنهض برسالتها وتحقق أهدافها وقلوب أفرادها تحمل البغضاء والحسد....؟!

إنها أمراض لا تضعف فاعلية الحركة فحسب بل إنها تهدد كيانها ووجودها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...﴾ [الأنفال: ٤٦]، وإذا كان في قلوب أولئك شيء من الوفاء والتقدير للحركة الإسلامية فعليهم بمراجعة إيمانية دقيقة... ووقفة محاسبة صادقة مع النفس... وفحص ممحص للقلب لاستدراك ما أوقعه الشيطان في قلوبهم... فقد قال أحد السلف: «الكرام.. يتعاملون بالمروءة والسماحة والعفو وسلامة الصدر..»، وصدق الشاعر:

ومـن لم يغمـض عينـه عـن صـديقه

وعن بعض ما فيه يمت وهو غائـب

ومـن يتتبـع جـاهلاً كـل عثـرة

يجـدها لم يـسلم لـه الـدهر صـاحب

٣ - **كثرت في مرحلة العمل العام مجالس النقاش وتبادل الآراء** واتخاذ القرارات وتقييم المؤسسات، وهذا تطبيق جميل لمبدأ الشورى الذي زكّى ربنا الآخذين به فقال جلّ وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨] ، ولكن الملاحظ في تلك المجامع أن أسلوب الحوار والنقاش لبعض الأخوة بدأ ينحو باتجاه مستنكر في آداب العيش الجماعي وواجبات الإخاء الإيماني ودلائل النصح الأمين، الذي ينبغي أن يسود تلك المجالس؛ لتعمّ فيها البركة... وتتنّزل عليها السكينة... وتتحقق فيها الشورى بمعناها الشرعي وسلوكها الأخوي ومقصدها المأمول... فشاهدنا من يغلظ في القول ويشتط في التجريح، ويتساهل في إلقاء التهم دون تحرّ وتثبت، وكأنه ينكر منكراً هو للكفر البواح أقرب، وليست اجتهادات بذل فيها القائمون على العمل وسعهم وجهدهم، ويسمي ذلك شجاعة أدبية ونصحاً بليغاً...!!.

أما سمع هؤلاء قول الله جلّ وعلا: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣]؟ أما استمعوا لقول المصطفى ﷺ: «ليس **المؤمن بالطعّان، ولا اللعّان، ولا الفاحش، ولا بالبذيء**»(١)..؟ أما استمعوا لقول المصطفى ﷺ: «**أطِبِ الكلام، وأفشِ السلام، وصِلِ الأرحام، وصَلِّ بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام**»(٢) ؟

- إن تلك الأساليب المستنكرة في قاموس الإخاء الإيماني هي نتاج لتعاظم الذات لدى أولئك وضعف اثر الإخاء على تصرفاتهم وخداع النفس بأن ذلك هو نصح للحركة، والحقيقة أن للنصح الأمين لهجته وأسلوبه ووقعه الحسن في نفوس السامعين...أما ما نسمعه من أولئك فهو أبعد ما يكون عن هذا.....

٤ - **اللسان بريد القلب، والجارحة الأكثر خطراً على الفرد والمجتمع،** والجوارح كلها تبع للسان كما ورد في الحديث: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان، تقول: اتق الله فينا؛ فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»، قال

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

(٢) حديث رقم: ١٠١٩ - صحيح الجامع.

الإمام النووي رحمه الله: «معنى «تكفر اللسان» أي: تذل له وتخضع»[1].

• وفي المنظور التربوي فإن سلامة اللسان من الآفات مؤشر على قوة الإيمان وعمارة القلب بالتقوى، إذ لا يسلم من آفات اللسان إلا تقي يحسب كلماته كما يحسب خطواته وأفعاله، تعصمه التقوى من شهوة اللسان والحديث الذي يعود بالوبال على صاحبه، كما في الحديث عند الإمام أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**»، ولا تزال قلوب المتقين تلجم ألسنتهم خوفاً مما حذّر منه النبي ﷺ بقوله: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»[2]، وتصحيحه لمفهوم مسؤولية المرء عن لسانه عندما استنكر على معاذ بن جبل سؤاله: «أَومُؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله..؟! فردّ ﷺ: «**ثكلتك أمّك يا معاذ... وهل يكبّ الناس على وجوههم (أو مناخرهم) إلا حصائد ألسنتهم...؟**»...

• وإن المسلم الواعي ليحمله عقله ويدفعه إيمانه إلى الاعتناء

---

(١) رواه الترمذي بلفظ «تستكفي اللسان».

(٢) رواه البخاري.

بحسن اللفظ وجميل المنطق حين يرى المقام يدعو إلى الكلام، وإلا آثر الصمت ولزم الكف طلبًا للسلامة من الإثم، عملاً بتوجيه رسول الهدى في قوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[1]، وروى الترمذي وغيره عن سفيان الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ قال: فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه، ثم قال: «**هذا**».

• وإذا كان الأمر كذلك لعوامّ الناس فإن حفظ اللسان في حق الدعاة أوجب، فكانت التربية على الصدق في الحديث، وهجر الغيبة والنميمة والباطل من القول، وترك الفحش والبذاءة، والتعالي على السخرية والاستهزاء بالآخرين، وترك ما لا يعني ،وحفظ العورات، والتنزه عن الأعراض، وهجر الإشاعات والأقاويل آكد.

• والجارحة الأخرى التي ترتبط باللسان هي الآذان (آلة السمع)، والسمع هو المهّيج للسان على آفاته وسقطاته...لذلك فقد كان من المستغرب والمستنكر ما نلحظه من حرص البعض - هداهم الله - على تتبع أخبار السوء أو الفتنة التي قد تصيب البعض، ويتفاخرون بأنهم مواقع للمعلومات الخاصة، وأن كل شاردة وواردة لديهم علمها

---

(١) أخرجاه في الصحيحين.

وخفاياها، متناسين قول الحق جلّ وعلا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي: محاسب عليه ومساءل عنه... فبالله عليك أي عاقل، وأي تقي فطن يكثّر على نفسه السؤال والحساب بين يدي من توزن عنده مثاقيل الذر وهو سريع الحساب سبحانه وتعالى...؟! ويا ليته يسكت عما علم، بل يقوم - لمزيد غفلته وجهله - بإلقاء لتك الأخبار يوزعها على من حوله... ويترقب نظرات الإعجاب بقوة نفوذه وتعدد مصادر معلوماته، وتناسى الغافل حديث المصطفى ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكل ما سمع**»[1] ... ومن الآفات المستنكرة: الجرأة على تناقل الأقاويل بين الدعاة لاسيّما السيئة منها، بل يتنافى الأمر إلى إلصاق التهم وقبول الإفك والترويج له تحت مقولة: «هل سمعتم بما قيل عن فلان..؟... وقالوا عنه كذلك إنه... ولا يوجد دخان دون نار... وقد سمعت فلانا من السابق يقول عنه كذا وكذا... وينبغي للحركة أن تتخذ منه الجزاء...»... إن المرء ليأسى على مجتمع الدعاة أن يقع مرة أخرى فيما حذّر منه المولى عزّ وجلّ تعقيبا على حديث الإفك، والآيات التي كانت موعظة بليغة على مجتمع المدينة حين تساهل البعض بإلقاء

---

(١) رواه مسلم.

التهمة وقبول الإشاعة، أين أولئك الخائضون من تلك الآيات المحكمات التي عاتب بها الله عزّ وجلّ الصحابة رضوان الله عليهم وأنذر بها من خاض مع الخائضين..ألم يسمعوا قوله تعالى في سورة النور: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]...؟

ألم ترتجف قلوبهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]...؟

ألم تتعظ قلوبهم بموعظة الله البليغة: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]...؟

أما تربّت نفوسهم فألجمت ألسنتهم بما أمر الله تعالى به: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٦- ١٧]...؟

• ويزداد الأمر خطورة حين تتحول تلك الأحاديث من الفردية إلى الجماعية، وتنصب لها مجالس النجوى، يتناقل فيها الجالسون الهمز واللمز والنقد غير البنّاء تحت ذريعة «إنما نحن مصلحون»، وتناسوا قول الحق جلّ وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ

بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «**ما تناجى قوم دون جماعتهم إلا كانوا على تأسيس ضلالة**».

إن تلك الآفات المهلكة للمرء، المفرقة للجماعة، جديرة أن تتقى كما يتقى الجذام...وأن تعالج بالحكمة والموعظة الحسنة... والأوبة الصادقة لله تعالى..... والتذكير الدائم بحقيقة الإخاء الإيماني وآدابه..... وبتبرئة مجالس الدعاة وتطهيرها من تلك الآفات... فالسكوت أحياناً من القيادات يجعل تلك الإمراض تتنقل بين صفوف الدعاة تحت ذرائع شتى في ظل عدم الإنكار عليها والتحذير منها.

الفصل العاشر:

إلى الشباب خاصّة

الشباب هم عماد المجتمعات، ووقود الجماعات.....هم قادة مستقبلها، وأمل غدها... هم ورثة رسالتها وحملة رايتها. ذكر القرآن الكريم أهل الكهف بفتوّتهم وشبابهم؛ ليكونوا موقع القدوة ومضرب المثل في عمق الإيمان، وصلابة الدين، والثبات على الحق....فقال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، قال القرطبي في تفسيره: «قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾: أي شباب وَأَحْداث، حكم لهم بالفتّوة حين آمنوا بلا واسطة، كذلك قال أهل اللسان: رأس الفتّوة الإيمان. وقال الجنيد: الفتوة بذل الندى، وكف الأذى، وترك الشكوى. وقيل: الفتوة اجتناب المحارم، واستعجال المكارم».

• قامت الأمّة الإسلامية في مهدها وزمن نهوضها وخلال عصور امتدادها على الشباب، فقد كان جلّ الصحابة الكرام وسادتهم من الشباب:علي بن أبي طالب، والزبير بن العّوام، ومصعب بن عمير، وسعد بن معاذ، وأسامة بن زيد، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.....

فالشباب بصدق عاطفته، واشتداد حماسته، وصفاء معدنه، وحدّة ذكائه، وعلّو همّته... يحمل أعباء الدعوات، ويحقق آمال الجماعات، ومن هنا فقد كان اهتمام الحركة الإسلامية بفئة الشباب كبيراً، فوضعت لهم المنهج القويم، والمربي الحكيم، ويسرّت لهم البيئة الصالحة، وأمدّتهم بالوسائل المعينة، ليكونوا دعاة عاملين وهداة مهديّين.

● على شباب الدعوة أن يدركوا قضية بالغة الأهمية، وهي أنهم ورثة الدعوة، وقادتها في مستقبل أيامها، فواجب عليهم أن يكونوا خير وارث، وأوفى سلف؛ ليكونوا كتلك الفئة المؤمنة التي خلفت سابقتها من الجيل الأول، فأقرّت بالفضل للسابقين، وحفظت الأمانة، وأظهرت الوفاء، وتابعت المسيرة، وأحسنت الاقتداء...قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]... أما تلك الفئة التي ضلّت طريقها، فلم تحفظ العهد، ولم تحمل الأمانة... فأضاعت رسالتها، وتنكبت طريقها، وحادت عن جادّة سلفها، فكان حظّها الوعيد والتهديد بالمآل الخاسر ومصير السوء.....قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم: ٥٩]... قال الطبري في

تفسيره: «يقول تعالى ذكره: فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرتُ من الأنبياء الذين أنعمت عليهم، ووصفت صفتهم في هذه السورة، خَلْفُ سوء، خلفوهم في الأرض أضاعوا الصلاة... ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة، فقال بعضهم: كانت إضاعتهموها تأخيرهم إيّاها عن مواقيتها، وتضييعهم أوقاتها»...

ثم أورد روايته: «أن عمر بن عبد العزيز بعث رجلاً إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين، فخرج إلى حرسه، وقد كان تقدم إليهم أن لا يقوموا إذا رأوه، قال: فأوسعوا له، فجلس بينهم فقال: أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر؟ فقالوا: كلنا نعرفه، قال: فليقم أحدثكم سناً، فليدعه، فأتاه الرسول فقال: لا تعجلني أشد علي ثيابي... فأتاه فقال: إن اليوم الجمعة، فلا تبرحّن حتى تصلي، وإنا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين، فلا يعجلنّك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها، فإنك مصليها لا محالة، ثم قرأ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم: ٥٩]، ثم قال: لم يكن إضاعتهم تركها، ولكن أضاعوا الوقت»... وذكر الصلاة إشارة للميثاق الذي تعّهده المرء بالوفاء مع خالقه جلّ وعلا، فهو أوثق العهود، وأحكم العقود بعد التوحيد، والله جلّ وعلا أمر بالوفاء

بالعقود فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ....الآية﴾ [المائدة: ١] والعقود في الآية ما كان بين العبد وربّه، وما بينه وبين الناس....

● من هنا فإن وصيتنا لشباب الدعوة أن يكونوا أمناء في إرث دعوتهم... أوفياء في حمل رسالتها... صادقين في بلوغ غايتها... متمسكين بمبادئها... ملتزمين بثوابتها... فهم بذلك يحوزون صفة الرجولة التي جعلها الله تعالى صفة للأوفياء، قال سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣]... قال الطبري في تفسيره: «يقول تعالى ذكره: من المؤمنين بالله ورسوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس، فمنهم من قضى نحبه يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعضٌ يوم بدر، وبعضٌ يوم أحد، وبعضٌ في غير ذلك من المواطن، ومنهم من ينتظر قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوه... وقوله: ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾: وما غيّروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييراً، كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم: هلم إلينا، والقائلون: إن بيوتنا عورة».

• وفي هذه المسيرة المباركة لشباب الدعوة، برزت بعض الأنماط من الفهم والسلوك تستدعي الاستدراك عليها، والتنبيه على أضرارها، حرصاً على سلامة المسيرة، وأمانة الإرث الدعوي لشباب اليوم وقادة المستقبل:

١ - أشرنا في ثنايا الكتاب لبعض الاستدراكات، التي أتمنى أن يقرأها الشباب بعناية وتدبّر، لاسيّما ما ورد في فصول الانتماء... والتربية...والالتزام... والانفتاح والعمل العام...والأخوّة الإيمانية، ففيها ما يعنيهم بشكل خاص.

٢ - لوحظ في السنوات الأخيرة، ومع استحواذ العمل الاقتصادي على اهتمام المجتمع، وإقبال الشباب على القطاع الخاص، أن الحركة بدأت تفقد شباباً هم من خيرة شبابها، ممن كانت تعدّهم لتولي زمام القيادة لبعض مهامها وشئونها، وتمثّل الفقد في دخول أولئك الشباب في معترك العمل الاقتصادي لدرجة استحواذه على جلّ اهتمامهم، وأفضل طاقتهم، فبدأ أحدهم بالاعتذار عن تحمل المسؤوليات... ثم بالتخفف من بعض المشاركات الدعوية... ثم للغياب فترات طويلة عن بيئة الدعوة وأنشطتها حتى استمرأ ابتعاده، وارتضى تخلّفه، ولم يتبق له إلا رصيد

الأخوّة الإيمانية، وجميل الصحبة الدعوية، وتاريخ جميل لا يزال يحمل ذكرياته في قلبه....كما ظهرت صورة رديفة لذلك وهي التغير الذي يظهر على بعض الشباب بعد زواجهم، وأول ما برز في ذلك الأمر هو بدعة ابتدعها بعض الشباب، ثم استحكمت عنهم عرفاً وحقّاً مكتسباً وهي: التفرغ من العمل الدعوي لأجل الزواج.....! فيطلب أحدهم تفرغاً وإعذاراً من إخوانه الدعاة من أي ارتباط أو مسؤولية أو مهمة دعوية لمدة شهرين، ثم أربعة، ثم ستة، ليوفي بأعباء الزواج ومسؤولياته...فإذا عاد بعد تلك الإجازة، عاد ضعيف العزم، ثقيل الخطوات، مشتت الذهن بين جواذب الزوجة ومسؤوليات الدعوة، فإن زاد على ذلك سوء اختيار لزوجته ممن لا تعرف لطريق الدعاة سبيلاً، كانت المنازعة والاضطراب في وفائه حق دعوته وحق زوجته..

إن السعي في الرزق مطلب شرعي وحق طبيعي، وإن اشتغال الدعاة في العمل التجاري أمر محمود.... ولكن الإفراط فيه والركون إليه والاستسلام لمغرياته والانغماس في مشاغله، دون تحقيق للموازنة التي حثنا عليها القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ... الآية﴾ [القصص: ٧٧] هو منزلق نستكثر على شباب الدعوة

أن يقعوا فيه ويستسلموا له... فمرحلة الشباب هي مرحلة العطاء للدعوة... وهي زمن الوفاء لها جزاء ما بذلته من تربية وعناية ورعاية، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان..؟ حين اشتّد عودك أيّها الشاب، وسعدت الدعوة برجولتك وبوادر تشميرك عن ساعديك؛ لتحمل الأمانة مع إخوانك فتزرع لغيرك كما زرعوا لك..أدرت ظهرك وقضيت ليلك ونهارك في عقد الصفقات وتتبع البورصات، وفي السفرات والاتفاقيات... وحين يسألك إخوانك سويعات معدودة... تعذّرت بأشغالك ومسؤولياتك وأنّك لا تستطيع حمل أية مسؤولية دعوية خشية ألا توفيها حقها... ذلك العذر الذي أقنعت به نفسك واستغللت به طيبة إخوانك.، ثم ها هي الساعات الطوال تبذل دون قيود ولا حدود في متاع الدنيا وزينتها، لم يطالبك أحد بأن تترك عملك وتفرط في شغلك، ولكنه الوفاء المنشود والعطاء المأمول[1].

٣- يتحدث بعض المتأملين في واقع شباب الدعوة اليوم عن حدوث ما يمكن تسميته «**بانفصال الأجيال**» في مقابل ما كان مأمولاً وهو «**تواصل الأجيال**»، ولا يعني هذا أن جيل الشباب اليوم هو في حالة انفصام وانفصال مع الجيل المتقدم من الدعاة، ولكن

---

(١) (أنصح بالرجوع لكتاب «الكسب وابتغاء الدنيا للدعوة والدعاة» للأخ فؤاد النافع، فهو حقاً نافع في بيان الموقف الشرعي تجاه كسب الرزق للدعاة).

شيئاً من هذا قريب يتلمس، والإشارة إليه - وربما إثارته بقوة ووضوح - هي لأجل الحذر والتنبيه، وتدارك الأمر وهو في بوادره ، مع إقرارنا بأن تفاوت القابليات والاستعدادات، وتباين الأفهام والقدرات، وتغيّر أنماط العيش والحياة، وحدة تأثير التحديات والمستجدات..أمر طبيعي وواقع....

• يلحظ أولئك المتأملون من الدعاة أن أنماطاً من الفهم لبعض المفاهيم الحركية والتنظيمية قد تبدّلت لدى جيل الشباب..كإدراك حقيقة الدعوة... وطبيعتها... ورسالتها... ومن نحن ؟ وماذا نريد..؟ ربما يغيب عن ذهن بعضهم لوازم التوفيق والنجاح والنصر للحركة الإسلامية، بأنها ترتكز على مدى الصفاء والنقاء، وعمق الإيمان، وعمارة التقوى في القلوب والصبر، فينبهر بواقع أفرز غبشاً في الرؤية، حيث عظم شأن الماديات والإمكانات البشرية، واتّسع مدى ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وعظمت الفتنة بمكر الأعداء بدعاوى الإسلام الحديث والإسلام الليبرالي والانفتاح على الآخر... الأمر الذي يلح على الشباب بلزوم معين الدعوة الصافي ومنابعها الخالصة ورجالها الأوفياء، لسلامة رؤيتهم ونفاذ بصيرتهم ووقاية قلوبهم وصفاء عقولهم... وتحقيق ما نصبو إليه من تواصل الأجيال

وتتابع المسيرة المباركة... ولا يعني هذا - مطلقاً - التبعية العمياء، أو التقليد الشكلي، أو التقديس للأشخاص أو الجمود في الفكر أو الرتابة في العمل، وفي ما أشرنا إليه آنفاً في ثنايا الكتاب ما يغني هنا عن الإسهاب.

٤ - ما يتعّرض له شباب اليوم من مغريات وفتن تأخذ بالأسماع والأبصار والعقول، جدير بأن تستنفر قلوبهم للإقبال على التربية الإيمانية والتحصين العلمي والأخوّة الإيمانية بأشّد مما كان يعمله السابقون، فإن تلك الفتن لا عاصم منها إلّا الله جلّ وعلا... بالفرار إليه... والإقبال عليه... والتزام ذكره... والقرب منه بفعل الصالحات والتزام القربات، قال سبحانه: ﴿... **وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٠١]، قال الطبري في تفسيره: «**ومن يتعلق بأسباب الله، ويتمسك بدينه وطاعته، فقد هدي، يقول: فقد وفق لطريق واضح، ومحجة مستقيمة غير معوجة، فيستقيم به إلى رضا الله، وإلى النجاة من عذاب الله، والفوز بجنته**»... وهذا يقتضي أن تؤخذ التربية الإيمانية مأخذ الجّد بعزم ومنهجية ومواظبة ومؤازرة... هذا نبيّ الله زكريا عليه السلام يسأل الله تعالى أن يهب له وارثاً ليرث النبوّة والرسالة،

فقال: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٥ - ٦] قال الطبري: «وقوله: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ يقول: «واجعل يا رب الولي الذي تهبه لي مرضياً ترضاه أنت ويرضاه عبادك ديناً وخَلْقاً وخُلُقاً» فأجاب الله دعاءه، ورزقه بيحيى عليه السلام الذي أوصاه ربه بالجد والعزم، ليحمل ارث النبّوة والرسالة، فقال سبحانهُ: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٢ - ١٣]، قال الطبري: «في قوله: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ قال: القوة، أن يعمل ما أمره الله به، ويجانب فيه ما نهاه الله. وقال قتادة ومجاهد: بجدّ.. وآتيناه الحكم صبياً قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقت، فأنزل الله ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾... وقوله: ﴿وَزَكَاةً ﴾ أي: وآتينا يحيى الحكم صبياً، وزكاة: وهو الطهارة من الذنوب، واستعمال بدنه في طاعة ربه..... وقوله: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ يقول تعالى ذكره: وكان لله خائفاً مؤدياً فرائضه، مجتنباً محارمه مسارعاً في طاعته»... تلك هي صفات الوارثين للرسالة، الطامحين لأن يتواصلوا مع من سلف

من أمّة التوحيد من النبّيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وليتحقق هذا، لابدّ للشباب من:

- **عناية جادّة بالتربية الإيمانية الفردية منها والجماعية....**
- **والتمّيز بشخصية المسلم الربّاني.....**
- **والترفع القلبي عمّا يخوض به الخائضون من سائر الشباب اللاهي.....**
- **وأن يمارسوا دور الداعية الذي يؤثر ولا يتأثر.....**
- **وأن يرتبطوا بإخوانهم برباط وجداني ومعايشة سلوكية تحفظ من** الانزلاق والفتنة، كما أوصانا ربّنا جلّ وعلا بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]....
- **وأن تكون رابطتهم الأخوّية في الله وبالله،** لا تجنح بها العاطفة، التي تتأجج في قلوب الشباب، إلى تعلق وهيام بالأشخاص، ولا ترتبط قوة تلك العلاقة بمظهر المحبوب وشكله أو المنفعة المادية المرتجاة منها أو وجاهته الاجتماعية وثرائه.....

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الخاتمة

وبعد...

فتلك كلمات... ونظرات... وتأملات... وآمال... سطّرت في هذا الكتاب نصحا لمن لهم حقّ النصح، ووفاء لمن لهم حقّ الوفاء وآمال لمن تعقد عليهم، بعد الله تعالى، الآمال.....رجوت الله تعالى أن ينفع بها، وأن تنشرح لها الصدور، وأن تتأملها العقول وأن تنهض لها القلوب والعزائم، لاستدراك ما ينبغي الاستدراك عليه....

أتمنّى ألّا يقف القارئ على التحقيق في وجود تلك الثغرات، ومدى انتشارها، وهل فيما ورد حقيقة أو مبالغة... فإننا - معاشر الدعاة - علينا أن نرتقي بأحوالنا ومجاميعنا ومؤسساتنا وحركتنا إلى أعلى المستويات، ولا نرتضي بالخلل ولو كان قليل المقدار صغير الأثر، بل الإتمام والكمال غايتنا ومبتغانا....

أسال الله العلّي القدير أن يتقبل منّا ما ذكرناه، وأن يغفر لنا إن نسينا أو أخطأنا ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينتفع به الدعاة والمصلحون، والقادة والمربّون ،،،، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .